ديوان شعر

لسان الضاد

للدكتور عودة أبو عودة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٥٥٥/٦/٢٠١٦)

٨١١,٩
أبو عودة، عودة خليل
لسان الضاد/ عودة خليل أبو عودة_ عمان:دارالمأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(١٥٢) ص
ر.إ: (٢٥٥٥/٦/٢٠١٦).
الواصفات: / الشعر العربي// العصر الحديث/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-77-412-7 (ردمك)


دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

ديوان شعر

لسان الضاد

للدكتور: عودة أبو عودة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم: د. عودة أبو عودة

أولاً: البذرة الأولى في مجال الشعر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، سيدنا محمد- ﷺ- وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه إلى يوم الدين، ولا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم، وبعد،

فإني لم أجرؤ على كتابة لقب (الشاعر) في العنوان أعلاه، الذي تَصدَّرَ هذه الصفحة؛ ذلك لأني- وأقولها بموضوعية ويقين- لم أشعر يوماً أني شاعر، ولم يخطِرْ على بالي طَوال حياتي العلمية والعملية أن أصنّف نفسي، أو أطمح أنْ يذكرني أحد في قائمة الشعراء، إذا كَتَبَ عنهم، أو تَحَدَّثَ عنهم، أو جَرى ذكرهم في أي من مجالات القول، ومناسبات الناس في الحياة العامة.

ولعلك تنظر في ترتيب قصائد هذا الديوان، التي حَرَصْتُ على ترتيبها وَفْق الترتيب الزمني لمناسبات قولها، فتجد (لسان الضاد) التي عارضت فيها قصيدة أستاذنا الكبير- الدكتور ناصر الدين الأسد رحمه الله رحمةً واسعة-، في قصيدته التي رثى فيها الأستاذ بهجت التلهوني، رئيس الوزراء في الأردن لعدة مرات، وقال في مطلعها:

تُســـــابِقُنا النوائــــبُ والخطــــوبُ

وقـــد طـــال التفجُّـــعُ والنحيـــبُ

فقلت في عروض هذه القصيدة وقافيتها:

أجِدّكَ مـا الـذي يمضـي يَـؤوبُ

وإنْ طـــالَ التفجُّـــعُ والنحيـــبُ؟

نُعَـــزِّي أنفســـاً بجميـــل صـــبرٍ

وتقهَرُنـــا النوائـــبُ والخُطـــوبُ!

كان عمري عندما قلت هذه القصيدة الأولى، ونشرتها في جريدة الرأي، ثلاثة وخمسين عاماً.

فما رأيك بإنسان يقول أول قصيدة جادّة في حياته بعد الخمسين من عمره، هل تراه كان يظن أنه شاعر، أو يخطر على باله هذا الخاطر؟

ولكن...

كان يشغلني طَوال حياتي، منذ وعيتُ على الدنيا، في حدود العاشرة من عمري، حُبُّ الشعر وقراءتُه، والبحثُ عنه، والتوقفُ طويلاً عند النماذج الساحرة منه. وما أكثر نماذج السحر والبيان في الشعر الجاهلي بخاصة، ذلك الشعر الذي كان يمثّل حياتهم، ويفيض على ألسنتهم فنّاً وسحراً ولفظاً جميلاً فيّاضاً، دون تكلّفٍ وتصنّع، بل تحسّ أنه نَبْضُ قلوبهم، وأنه فَيْضُ مشاعرهم،

وأنه صورة ملامحهم، وسمات وجوههم، وهم يمارسون حياتهم في سياقها الاجتماعي الواقعيّ، مثلما أنهم يتنفسون الهواء، ويرْتشفون الماء، ويتسابقون يتفاخرون ويتنافرون، ويتناشدون الأشعار في الأسواق الأدبيّة لكي يحكم بينهم شيخُ النّقاد في تلك الأيام، النابغةُ الذبياني، أيهم أشعر.

لم يشهد الأدب العربي في عصوره المتوالية شعراً أجمل وأرقى مما كان عليه الشعر الجاهلي. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم(*).

كانوا يملكون لغتهم، ويتصرَّفون بها بخبرتهم وصفاء فِطْرتهم، فهي طَوْعُ قلوبهم وأقلامهم وأفكارهم، يرسلون القول فيما يريدون، في كل ما يخطر على البال، قولاً سائغاً جميلاً في تراكيب عجيبة، ومناهج من القول متنوعة، فلا تملك إلا أنْ تتأملَ وتردِّدَ معهم هذا القولَ الساحر، وهذا التركيبَ اللغويَّ الذي يملك عليك نفسك. اقرأ إن شئت هذه الأبيات الستة في مطلع قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري، وتأمل في هذه الفاء التي وردت عشر مرات في الأبيات الثلاثة (٣-٥) منها فقط:

آذنتنـــــــــا ببينهـــــــــا أســـــــــماءُ
رُبّ ثــــــاوٍ يُمَــــــلُّ منــــــه الثــــــواء

(*) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ط١، دار اليوسف، بيروت، ج١، ص٥٦.

آذنتنـــــــا ببينهـــــــا ثـــــــم ولّـــــــتْ

ليـــتَ شـــعري متـــى يكـــونُ اللقـــاء؟

بَعْـــــدَ عهـــــدٍ لنـــــا ببرقـــــةِ شَـــــمّاءَ

فـــــــأدْنَى ديارِهـــــــا الخَلْصـــــــاء

فالمحيّـــــــاةُ فالصِّـــــــفاحُ فأعنـــــــا

قُ فِتـــــــاقٍ فعـــــــاذِبٌ فالوفـــــــاء

فريـــــاضُ القَطـــــا فأوديـــــةُ الشُّـــــر

بَـــــبِ فالشُّـــــعْبتان فـــــالأَبلاء

لا أرى مـــــن عَهِـــدتُ فيهـــا فـــأبكي الـــ

يَـــــوْمَ دَلْهـــــاً ومـــــا يَـــــرُدُّ البكـــــاء

ما هذه الفاء؟

ما هذا السحر؟ أفسحر هذا أم شعر؟

هذه الفاء، يسمّيها بعض الكتّاب والمؤلفين (فاء الأماكن)، وأنا أرى أن هذه التسمية تسيء إليها وتذهب بسحرها وجمالها، ثم إن الشعر الجاهلي ذكر عشرات الأماكن غيرها، دون أن تتصل بها الفاء، مما يدل على أن هذه الفاء ليست خاصة

بالأماكن، ولم ترد في أشعارهم من أجل ذلك.

اقرأ إن شئت أبيات زهير بن أبي سلمى في معلقته:

تبصّـرْ خليلـي هـل تـرى مـن ظعـائن
تحمّلْـنَ بالعليـاء مـن فـوق جُـرْثُم؟
جَعلْـنَ القَنـانَ عـن يمـين وحَزْنَـه
وكـمْ بالقنـان مـن مُحِـلٍّ ومُحْـرِمِ

واقرأ هذه اللوحة الرائعة من شعر المثقب العبدي، يصف ظُعُناً يَسِرْنَ على جِمالهنَّ ويقطعْنَ الوهاد والجبال، يَظْهَرْنَ تارةً ويَخْتفينَ أخرى بين الهضاب:

لِمَـنْ ظُعُـنٌ تُطـالَعُ مِـنْ ضُـبَيْبٍ
فمـا خَرَجَـتْ مِـنَ الـوادي لِحـين
مَـرَرْنَ علـى شَـرافِ فـذاتِ رَجْـلٍ
ونكّـبْنَ الـذّرائحَ بـاليمين
وَهُـنَّ كـذاك حـينَ قَطَعْـنَ فَلْجـاً
كـأنَّ حُمـولَهنّ علـى سـفين[1]

(١) المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، (ط٧)، دون تاريخ.

وضبيب والوادي، وشراف وذات رجل، والذرائح وفلج، كل هذه أماكن وردت في هذه الأبيات، ولم ترد فيها الفاء التي قالوا إنها (فاء الأماكن).

إذن، ما هذه الفاء؟ لقد شغلتني هذه الفاء في فترة من العمر. وتساءلت: أين ذهبت بعد نزول القرآن الكريم، والعهد بأن القرآن الكريم نزل بأساليب العرب وعاداتهم اللغوية، ولكنْ ببيان معجز لا يُلْحَق؟ ولكي يُبْحَثَ هذا الموضوعُ بحثاً علمياً جادّاً، اقترحت الفكرة على إحدى الدارسات المجيدات[1]، أن يكون موضوعاً لرسالة دكتوراه، وقد تفهمت الفكرة وتخصصت بالأمر، وأعدّت رسالة كانت بعنوان: الفاء مبنى ومعنى: بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: دراسة لغوية دلالية.

بيّنت فيها أن هذه الفاء التي شغلت الناس وأطربتهم، قد دخلت في التركيب القرآني المعجز، ومن المسلّم به الآن أن القرآن الكريم جاء بأساليب العرب، وبعاداتهم اللغوية، ولكن بأسلوبه القرآني الفريد. ومن هنا كانت دهشة العرب وحيرتهم عند سماعهم القرآن الكريم، فكأنهم تساءلوا، هذه لغتنا، وهذه عاداتنا في القول، فما بالنا نقرأ القرآن الآن فنجد فيه أكثر مما كان يشعر به الناس من قبلُ مِن سِحْر البيان وعُلُوّ الشأن؟ وللتمثيل على هذه الفاء في القرآن الكريم، اقرأْ هذه الآيات الكريمة من سورة الشمس، للتمثيل فقط:

---

(١) هي السيدة – الدكتورة الآن– هالة قزع، المدرِّسة الآن في مركز اللغات في الجامعة الأردنية.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾

هذه إذن، صورة سريعة على اهتمامي بالشعر الجميل، والقول المثير الذي يحرّك القلب، ويملأ الوجدان.

كنتُ أعشقُ الشعر، وأبحثُ عنه، وأستمعُ إليه، وأصفقُ لمن يجيد فَنَّ القولِ إلقاءً وإنشاداً.

صرت أشعر أني شاعر بقلبي، بحبي للشعر، واستمتاعي به، ورَكَنْتُ إلى هذه الفكرة، واكتفيت بها، وأقنعت نَفْسي في حِوارٍ داخليّ صامت معها، أنّي شاعر بعشقي للشعر ومتابعة نماذجه العالية حيثما وجدتها. ثمّ إنَّ الصحف الأردنية أعلنت ذات يومٍ عن حفل تأبين سيقام للراحل الكبير الأستاذ بهجت التلهوني، وأن الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد أحد المشاركين فيه.

لم يتوقع أحد من الناس، ولا من المشاركين في التأبين، من الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، إلا أن يكون حديثه – وهو يؤبّن صديقه ورفيق دربه- حديثاً مرسلاً بالنثر الجميل، والتعبير المعهود منه، يعرض فيه الخواطر التي تملأ قلبه، والمواقف التي تشكل ذكرياته، بأسلوب سلس عذب عرفه الناس به، ولكنه فاجأ

الناس جميعاً بأنه ألقى قصيدة رائعة، ببيان راق، وفصاحة عالية، ذكرتُ مطلعها في أول هذه الكلمة.

فعلت فيّ هذه القصيدة، بل هذه الفصاحة فِعْلَ السحر، فمنذ متى كان ناصر الدين الأسد شاعراً؟ تشكل في نفسي أن أعبر عن دهشتي من هذا الموقف، وعن إعجابي بهذا الشعر الذي سمعته، بشعر مثله، وأحسستُ أنَّ الكلمات تتدافع في صدري، وأن عروضَ القصيدة وقافيتَها يَتَرَدَّدُ في داخلي، فاستجمعت مشاعري، وطفقت أسجل ما يتردد على لساني من صدى لأبيات تلك القصيدة، ولكن بمعان ودلالات تصور إعجابي بلغة الدكتور ناصر الدين، شعراً ونثراً، وشكوت له ضعف الناس بلغتهم، وانتشار كثير من تجارب الشعر الضعيفة التي تملأ وسائل الإعلام، وتمنيت أن يعود للشعر العربي ألقه وبيانه، وللقصيدة العربية جمالها وسحرها ومكانتها في قلوب الناس. وقلتُ أعارضه في قصيدة، كان مطلعها ما ذكرته في بداية هذه المقدمة.

وكأنما انفتح الباب، وبدأت المشاركات المتنوعة. وأوهمني الناسُ بوصف ما أقوله بأنه شعر، فرأيت أن أجمع ذلك كله، وأقدمه للناس، لكم، في كل مكان لكي تحكموا عليه، أهو شعرٌ أم هو شيءٌ شبيهٌ بالشعر، أم هو محاولاتٌ مخلصةٌ ستظل تشهد لي أنني أحب الشعر وأتذوقه، وأحب أن أستمع إليه من أهله الكِبار، وأَبْصُرُ بهم عن جُنُبٍ، وهم في نواديهم ينشدون.

ثانياً: الشعر وحقيقته

- ما الشعر؟
- ما حقيقته؟
- هل يمكن وصف تأثيره في القلوب؟

هذه تساؤلات في موضوع واحد، بل لفكرة واحدة، هي أنه لم يُعرف بعدُ تعريف خاص بالشعر، كما نُعرّف الموضوعات الأخرى، والمصطلحات في كل الفنون والعلوم.

الشعر إحساس في النفس، شعور في القلب، تفاعل شعوري مع كل حواس الإنسان في لحظة واحدة. عندما يسمع المرء قولاً شعرياً مؤثراً - وبخاصة إذا كان لأول مرة-، فإنه يشعر بشيء من النشوة، والمتعة، واللذة، والانفعال، يهتف - مثلاً-: هالله، هالله. أو يحرك رأسه أو يديه أو جسده كله؛ تعبيراً عن الإعجاب، وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المرء يدرك أن ذلك لا يصور تصويراً تاماً ما صنع ذلك القول في نفسه.

قال امرؤ القيس، وقال النابغة، وقال الأعشى، وقال زهير، وقال الشعراء في العصر الجاهلي ما قالوه، فأذهلوا الناس؛ النقادَ منهم والرواة، وحَمَلوا هذا الشعرَ إلى عهد التدوين، ودوّنوه، وبرعوا في تقسيم الشعراء إلى طبقاتٍ ومراتب،

والشعر إلى فنون وأغراض.

وذهب العصر الجاهلي، وذهب بعدُ العصر الإسلامي والأموي والعباسي، وعاش ومات مئات من الشعراء والأدباء..

فما بالنا حتى يومنا هذا ما نزال نبحث عن أشعارهم وقصائدهم ودواوينهم؟ ما بالنا ما نزال ننشدها بنشوة وإعجاب، ربما يفوق ما كانوا يشعرون به هم في حياتهم؟!

قال الأعشى:

ودّع هريرة إنَّ الركْبَ مُرتَحِلُ
وهل تطيقُ وَداعاً أيها الرجل؟

وقال الأعشى أيضاً:

رَحلتْ سُميَّةُ غُدوة أَجْمالها
عتبى عليك، فما تقول بدا لها؟
هذا النهار بدا لها من هَمّها
ما بالها بالليل زال زوالها؟

وقال النابغة الذبياني:

يـــــا دار ميّــــــة بالعليـــــاء فالســــــند

أقْــوَتْ وطـــال عليهـــا ســـالف الأمـــد

وَقفـــــتُ فيهـــا أُصــــيلاناً أُســـائِلُها

عَيَّـــتْ جوابـــاً ومـــا بـــالربع مـــن أحـــد

وقال عَبَدَة بن الطبيب:

هـــل حبـــلُ خَوْلـــةَ بعـــد الهجـــرِ موصـــول

أم أنـــت عنهـــا بعيـــدُ الـــدار مشـــغول؟

حلّـــــــت خُويلـــــــة في دارٍ مجـــــــاورةٍ

أهـــل المـــدائن فيهـــا الـــديك والفيـــل

انظر إلى جمال كلمتي (الديك والفيل)، مقترنتين بأهل المدائن!! أليست هذه صورة واقعية تكاد تنطق بها تشاهده في إحساسك الداخلي؟

وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

يـــــذكّرني طلـــــوعُ الشّـــــمس صـــــخراً

وأذكُـــــرُه لكـــــلّ غُـــــروبِ شَـــــمْس

ولـــــولا كثـــــرةُ البـــــاكينَ حـــــولي

علـــــى إخـــــوانهم لقتلـــــتُ نفســـــي

ومـــا يَبْكـــونَ مثـــلَ أخـــي، ولكـــنْ

أُعـــزّي الـــنَّفسَ عنـــه بالتأســـي

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري، يرثي أهل مؤتة:

تـــأوّبني ليـــلٌ بيثـــربَ أَعْسَـــرُ

وهَـــمٌّ إذا مـــا نَـــوّم النـــاسُ مُسْـــهِرُ

بـــلاءٌ وفُقْـــدان الحَبيـــبِ بليّـــةٌ

وكـــم مـــن كـــريم يُبتلـــى ثُـــمّ يَصْـــبر

فـــلا يُبْعِـــدنّ الله قتلـــى تتـــابعوا

بمؤتـــةَ مـــنهم ذو الجنـــاحَيْن جعفـــر

وزيـــدٌ وعبـــدالله حـــين تتـــابعوا

جميعـــاً وأســـباب المنيّـــة تَخْطِـــرُ

وقال كعب بن مالك الأنصاري، يوم بدر:

ســـائل قريشـــاً غـــداة الســـفح مـــن أُحُـــدٍ

مـــاذا لقينـــا ومـــا لاقـــوْا مِـــنَ الهـــربِ

كنـــا الأســـودَ وكـــانوا النّمـــرَ إذ زحفـــوا

مـــا إنْ نُراقـــب مـــن آلٍ ومـــن نَسَـــبِ

فينـــا الرســـولُ شـــهابٌ ثـــم يتبعـــه

نـــورٌ مضـــيءٌ لـــه فضـــلٌ علـــى الشُّـــهُبِ

الحـــــقُّ منطقُـــــهُ، والعـــــدلُ ســـــيرتُهُ

فَمَـــنْ يُجِبْـــه إليـــه يَـــنْجُ مـــن تَبَـــبِ

بـــــدا لنـــــا فاتّبعنـــــاه نُصَـــــدّقه

وكـــذّبوه، فكنّـــا أســـعدَ العـــربِ

وقال الحطيئة، يخاطب عمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه-، وقد سجنه لتعرضه لهجاء المسلمين:

مـــاذا تقـــول لأفـــراخ بـــذي مـــرخ

حُمْـــرِ الحَواصـــل لا مـــاءٌ ولا شـــجرُ

غيَّبـــتَ كاسِـــبَهم في قَعْـــر مظلمـــةٍ

فـــاغفرْ، عليـــك ســـلام الله يـــا عمـــرُ

أنـــتَ الأمـــينُ الـــذي مـــن بَعـــدِ صـــاحِبِه

أَلقـــتْ إليـــكَ مقاليـــدَ النهـــى البشـــرُ

لم يُـــؤثِروكَ بهـــا إذْ قـــدّموكَ لهـــا

لكـــنْ لأنفســـهمْ كانـــت بـــك الأثـــرُ

وقال جرير، يفتخر بنسبه ويهجو الفرزدق وقومه تيم:

فلـــو كـــان الخلـــود لِفضْـــل قـــومٍ

علـــى قـــوم، لكـــان لنـــا الخلـــودُ

أبونـــا مالـــكٌ، وأبـــوكَ تَـــيْمٌ

فهـــل تَـــيْمٌ لـــذي حَسَـــبٍ نديـــدُ؟

أنـــا ابـــنُ الأكـــرمين تنجَّبَـــتْني

قُـــرُومٌ بـــين زَيْـــدِ مَنـــاةَ صـــيدُ

أزيـــدَ منـــاةَ تُوْعِـــدُ يـــا ابـــن تـــيمٍ!

تَبَـــيَّنْ أيـــن تـــاه بـــك الوعيـــدُ

ويُقضـــى الأمـــر حـــين تغيـــب تَـــيْمٌ

ولا يُســـتأمرون وهـــمْ شـــهودُ

وقال الفرزدق، يفتخر بقومه ويهجو جريراً:

بنـــو دارم يـــا ابـــن المراغـــة أســـرتي

إذا عُـــدَّ يومـــاً عزُّهـــا ونفيرهـــا

مكـــارم مـــا كانـــت كُليـــبٌ تنالهـــا
إذا مـــا جنـــا تحـــت الطويـــل قصـــيرها[1]

ودار حِفـــاظٍ قـــد حَلَلْنـــا وغـــارة
ضَـــرَبْنا عليهـــا الخيـــلَ تـــدمي نُحورهـــا

صـــبرنا لهـــا حتّـــى تفـــرّجَ همُّهـــا
وعـــاد لنـــا أســـلابها وكبيرهـــا

وقال الأخطل في قصيدة، يمدح فيها الوليد بن عبدالملك:

حتـــى تنـــاهى إلى القـــوم الـــذين لهـــم
عـــزّ الملـــوك وأعلـــى سَـــورة الحَسَـــب

بـــيضٌ مصـــاليت لم يُعْـــدلْ بهـــمْ أحـــدٌ
بكـــل مُعْظَمَـــةٍ مـــن ســـادة العـــرب

الأكثـــرين حصـــىً والأطيـــبين ثـــرى
والأحمـــدين قِـــرىً في شـــدّة اللّـــزَبِ

مـــا إنْ كـــأحلامهم حِلْـــمٌ إذا قَـــدَروا
ولا كَبَسْـــطَتهمْ بَسْـــطٌ لـــدى الغَضـــب

(١) جنا مُسَهّل من جنأ، بمعنى: أكبَّ؛ أي سجد. وأراد بالطويل: السيد الشريف. وبالقصير: النذل الدنيء.

وهـــم دُرى عبـــد شمـــسٍ في أرومتهـــا

وهـــمْ صـــميمهمُ ليســـوا مـــن الشّـــذَب

وكـــــان ذلـــــك مقســـــوماً لأوّلهـــــم

وراثـــــةً ورثوهـــــا عـــــن أب فـــــأبِ[1]

وقال مروان بن أبي حفصة، يمدح المهدي العباسي في قصيدة مطلعها:

طرقتـــــك زائـــــرة، فحـــــيّ خيالهـــــا

بيضـــــاء تخلِـــــطُ بالجمـــــال دلالهـــــا

قال:

أحيـــــا أمـــــيرُ المـــــؤمنين محمـــــدٌ

ســـــننَ الـــــنبي حرامَهـــــا وحلالَهـــــا

مَلِـــــكٌ تفـــــرّع نبعُـــــه مِـــــنْ هاشـــــم

مَـــــدّ الإلـــــهُ علـــــى الأنـــــام ظِلالَهـــــا

ثَبْـــــتٌ علـــــى زَلـــــل الحـــــوادث راكـــــبٌ

مـــــن صَـــــرْفِهنَّ لكـــــلِّ حـــــال حالَهـــــا

(١) بيض: أنقياء. مصاليت: جمع مصلات، وهو الشديد. حصى: أي عدداً. قِرى: أي ضيافة. اللزب: القحط. الشّذب: الأطراف والحواشي.

وَقَعَـــتْ مواقعهـــا بعفـــوك أنفـــسٌ

أَذْهَبْـــتَ بَعـــدَ مَخافـــةٍ أوْجالَهـــا

ونَصَـــبْتَ نَفْسَـــكَ خـــيرَ نفـــس دونهـــا

وجَعلْـــتَ مالـــك واقيـــاً أموالَهـــا

وقال أبو تمام، يمدح المعتصم ويذكر فتح عمورية:

الســـيف أصـــدق أنبـــاء مـــن الكتـــب

في حـــدّه الحـــدُّ بـــين الجـــد واللعـــب

فَـــتْحُ الفُتـــوح تعـــالى أن يحـــيطَ بـــه

نظـــمٌ مـــن الشـــعر أو نثـــرٌ مـــن الخُطـــب

إن الأســـودَ أســـودُ الغـــاب هِمّتُهـــا

يـــومَ الكريهـــة في المســـلوب لا السَّـــلب

تســـعون ألفـــاً كآســـاد الشـــرى نَضِـــجَتْ

جلـــودُهمٌ قبـــل نُضْـــج الـــتين والعنـــب

وقال المتنبي، يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى:

لكـــل امـــرئ مِـــنْ دهـــره مـــا تعـــوّدا

وعـــادةُ ســـيف الدولـــة الطعـــنُ في العِـــدا

هنيئــاً لــك العيــدُ الــذي أنــت عيــدُه

وعيــدٌ لِمَــنْ سَــمّى وضَــحّى وعيّــدا

رأيتــك محــضَ الحلــم في مَحْــض قــدرة

ولــو شــئتَ كــانَ الحلــمُ منــك المهنّــدا

ومــا قَتَــلَ الأحــرارَ كــالعفو عــنهمُ

ومَــنْ لــكَ بــالحرّ الــذي يَحفــظُ اليــدا

إذا أنــتَ أكْرَمْــتَ الكــريمَ ملكتــه

وإن أنــتَ أكرمــتَ اللئــيمَ تمــرّدا

وقال أبو العلاء المعري، يرثي أبا حمزة الفقيه الحنفيّ:

غــيرُ مجــدٍ في مِلّــتي واعتقــادي

نَــوْحُ بــاكٍ ولا تــرنمُ شــادي

وشــبيهٌ صــوتُ النعــيّ إذا قــيس

بصــوتِ البشــيرِ في كــل نــاد

أَبَكَــتْ تِلكــمُ الحمامــةُ أم غَنّــتْ

علــى فــرعِ غُصــنِها الميّــاد؟

صـــاحِ هـــذي قبورُنـــا تمـــلأ الأرضَ

فـــأين القبـــورُ مَـــنْ عَهْـــدِ عـــاد؟

خفّـــف الـــوطءَ مـــا أظـــنُّ أَديـــمَ الأرضِ

إلّا مَـــــنْ هـــــذه الأجســـــاد

سِـــرْ إِنْ اسْـــطَعْتَ في الهـــواء رويـــداً

لا اختيـــالاً علـــى رُفـــات العبـــاد

رُبَّ لَحْـــدٍ قـــد صـــار لَحْـــدَاً مـــراراً

ضـــاحكٍ مِـــنْ تَـــزاحُمِ الأضـــداد

وقال أحمد شوقي في حقل تكريمه بإمارة الشعر عام ١٩٢٧م، وقد اجتمع فيه شعراء من معظم بلدان الوطن العربي:

يـــا عكاظـــاً تـــألّف الشـــرق فيـــه

مـــن فلســـطينه إلى بغدانـــه

وُطّـــدتْ فيـــك مـــن دعائمهـــا الفصـــحى

وشُـــدَّ البيـــانُ مـــن أركانـــه

شَـــرُفَتْ مِصْـــرُ بالشـــموس مـــن الشـــرق

نجـــوم البيـــان مـــن أعيانـــه

قـــد قضـــى الله أن يُؤلِفنَـــا الجـــرحُ

وأن نلتقـــــي علـــــى أشـــــجانه

كلمـــــا أَنَّ في العِـــــراق جـــــريحٌ

لَمَـــسَ الشـــرقُ جَنْبَـــه في عُمانـــه

وقال محمد مهدي الجواهري في مطلع قصيدة له:

لم يبـــق عِنْـــديَ مـــا يبتـــزّه الألم

حســـبي مـــن الموحشـــات الهّـــمُّ والهَـــرَم

وقال عمر أبو ريشة:

أمـــتي، هـــل لـــك بـــين الأمـــم

مِنْـــــبرٌ للسّـــــيف أو للقلـــــم

أتلقـــــاك وطـــــرفي مُطْـــــرِقٌ

خجـــلاً مـــن أمسِـــكِ المُنْصـــرِمِ

أمـــتي، كَـــمْ صـــنمٌ مجّدتـــه

لم يكـــنْ يحمـــلُ طُهْـــرَ الصَّـــنم

ربّ وامعتصـــــماهُ انطلقـــــتْ

مـــلءَ أفـــواه الصـــبايا اليُـــتَّم

لامَسَــــــــت أسمـــــــاعَهم، لكنّهـــــــا

لمْ تُلامِـــــــسْ نَخْـــــوَةَ المعتصـــــــم

وقال محمود درويش:

ألو..

أريد محمد العربي

نعم، من أنت؟

سجين في بلادي

بلا أرض

بلا عَلَمٍ

بلا بيتٍ

رَمَوْا أهلي إلى المنفى

وجاءوا يشترون النار من صوتي

لأخرج من ظلام السجن.

فما أفعل؟

تَحَدَّ السجنَ والسّجانْ

فإنَّ حلاوةَ الإيمان

تذيب مرارة الحنظل

وقال د. خالد الكركي، في قصيدة له بعنوان: عز الدين القسّام يصعد إلى يَعْبَد:

يا شيخَ الثورة، انهض،

ها قد طلعتْ شمسٌ كبرى من حزُن القدس وغَضَبِ النهر،

وامتدتْ راياتُك بين جبال النار وبين البحر،

وتَخضَّبَ بالدّمّ الزيتونُ، وأَشعلَ جمرَ الصّبر،

فانهض يا قنديلَ بلاد الشام،

فهذا زمن الحجر العربيّ

وَذِي يَعْبُدَ تنسجُ أحلامَ الفجر،

نجلسُ بين يديكَ الآن

ونقرأُ في كفيك نشيدَ الجمر،

ونَمّدُّ البصرَ إلى الرايات،

ونسألُ: يا مولانا، ما البشرى قبل طلوع الفجر؟

ويجيءُ الصوتُ عميقاً: إن السّرَّ..

في حلمٍ ممتدٍّ بين الحَجَر وبين السيف

في قلب لا ينكسر أمام أجيج النار، وعندَ ضجيج النّزف

في كفٍّ تُلقي في وجه الغاصب حجراً

تَتْبَعُها في الساحات أكفٌّ ألفٌ

في طفلٍ يحمل في عينيه وجهَ القدس

ويُلغي من دفتره الخوفَ وكلمةَ قِفْ..

***

أرأيتم هذه اللغة العربية الساحرة،

- كيف تسير من أقدم العصور، إلى عصرنا هذا، وستظل تسير متنقلة في القرون حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
- أرأيتمْ لغة أخرى غير العربية تسافر متنقلة في القرون، بهذه الفصاحة وهذا البيان، وهذه السهولة وهذا الوضوح وهذا السحر؟
- هل رأيتم فرقاً بين كلام الشعر الجاهلي، أو العصر الأموي، أو العباسي، أو الحديث؟ هل رأيتم ثمة فرقاً بين دلالات الألفاظ ودلالات التركيب

اللغوي، وتنوع أساليب القول؟

- ما بالنا أيها السادة، نقرأ بشغف كبير، وإقبال متصل، ومحبة صادقة، نقرأ شعر هؤلاء؟

- هؤلاء الشعراء ذهبوا إلى بارئهم.
- لا نسأل عن أفكارهم، ولا عن عقائدهم، ولا عن فلسفاتهم ومواقفهم.
- إنما تَسْحَرنا أقوالُهم، ترتيبُهم للكلام، قدرتُهم العجيبة على التعبير، تصرُّفهم في فنون القول، يمدحون، ويرثون، ويصفون، ويتغزلون، ويفتخرون، لا تقف أمامهم قافية، ولا يُعْجِزُهُمْ وَزْن، ولا يتعثّرون باسم إنسان، ولا بوصف مكان، أيّاً كانت ألفاظه وحروفه.
- تأملوا - مثلاً- في هذه الأمكنة، بَطْن قوّ، عرعر، الصّمان، المتَثَلّم، منعرج اللوى، حَومانة الدرّاج، الدَّخول، حومل، بالرقمتين، روضة دِعْمِيّ، بُرقة ثهمد، أكناف حائل، مدافع الريان، وغيرها كثير كثير، ألفاظ لو نطقنا بها الآن، لتعثرت بها ألسنتنا، فكيف جاءوا بها هم، وطوّعوها للإيقاع الساحر، الذي تحسّ به، وتلمسه، وتسمعه، في أقوالهم؟

اسمع قول امرئ القيس:

سمـا لـك شـوقٌ بعـد مـا كـان أقْصَـرا

وحلّـــتْ سُـــليمى بَطْـــنَ قَـــوٍّ فعرعـــرا

واسمع إلى إنشاد النابغة الذبياني في مطلع قصيدته الخالدة:

يـــــا دار ميّـــــة بالعليـــــاء فالسّـــــند
أقـــوتْ وطـــالَ عليهـــا ســـالفُ الأمـــدِ

واسمع قول أبي ذؤيب الهذلي:

ســـــــــلافةُ راحٍ ضُـــــــــمِّنَتْها إدَاوةٌ
مُقَيَّـــــرةٌ رِدْفٌ لآخـــــرة الرَّحْـــــل

تَزَوَّدَهـــا مـــن أهـــل بصـــرى وغَـــزّةٍ
علـــى جَســـرة مرفوعـــة الـــذَّيْل والكِفـــل

فـــوافى بهـــا عُســـفانُ ثُـــمَّ أتـــى بهـــا
مَجنَّـــةَ تصـــفو في القِـــلال ولا تغلـــي

وراحَ بهـــا مِـــنْ ذي المجـــاز عَشِـــيّةً
يبـــادرُ أولى الســـابقات إلى الحَبْـــل[1]

أرأيت كيف انتقل بك من بصرى، وغزة إلى الحجاز، حتى وصل بك إلى عرفات، في كلام سهل عذب: كأنك تغني معه ما يتغنى به.

---

١) الحبل: يطلق على جبل عرفات.

أريد أن أقول: إن هذه اللغة العذبة، وهذا الشعر الخالد، لم ينتقل إلينا لما فيه من أفكار ومعان، بل لما فيه من سحر التعبير، وقوة التأثير في النفوس.

هل تستطيع أن تصف هذا الشعور الذي تحسّ به وأنت تقرأ تلك اللغة العذبة؟ إنني أقرأ البيت من تلك الأبيات عشرات المرات، وأردده وأتأمل تركيب ألفاظه في هذه الأساليب الخالدة، ولكن لا أستطيع أن أصف مشاعري وخلجات نفسي في داخلي، وأنا أردد مثلاً قول الحادرة:

بَكَــــرَتْ سُــــمَيَّةُ بُكـــــرةً فتمتّـــــعِ

وغَــــدَتْ غُـــــدُوَّ مُفـــارقٍ لم يَرْبَـــع

أو قول الشنفرى:

ألا أم عمــــروٍ أجمعــــت فاسْــــتَقَلّتِ

ومـــا ودَّعـــتْ جيرانَهـــا إذْ تولّـــتِ

أو قول امرئ القيس:

لِمَــنْ طلـــلٌ بـــين الجُدَيَّـــةِ والجَبَـــلْ

محَــلٌّ قــديم العهْــد طالــتْ بــه الطِّيَــلْ

أو قول أبي ذؤيب الهذلي:

فــلا تَجْــزَعَنْ مِــنْ ســيرةٍ أنــت سِــرْتَها
وأولُ راضـــي سُـــنَّةٍ مَـــنْ يســـيرُها

وغيرها كثير.

منذ أيام سقراط وأفلاطون وأرسطو، حاول الفلاسفة أن يعرّفوا الشعر، فهوّموا، وردّدوا، واتفقوا، وعادوا في النهاية إلى أنه نشوة يحسّ بها الإنسان في داخله. هذا أفلاطون يتحدث عن الشعر، ويبدأ كلامه بالحديث عن أستاذه سقراط، فيقول -على لسان سقراط-: "إن عواطف الإنسان العليا تقترن بنوع من النشوة التي تطغى على العقل، وهذه النشوة دلالة على أن مصدر هذه العواطف إلهي، يمثل بنشوة النبوّة، ونشوة التصوف، ونشوة الشعر، ونشوة الحب".

أما هو (أفلاطون)، فيقول: "إن الإلهامَ الشعريَّ يصدر عن النشوة الإلهية، وإن ذلك (الشاعر) الذي حُرِمَ النشوةَ الصادرة من آلهة الفنون، ثم يجترئُ على الاقتراب من أبواب الشعر، متوهماً أن الصنعة تكفي لخلق الشاعر، فإنه لن يكون سوى شاعر ناقص؛ لأن شعر المرء البارد العاطفة، يظل دائماً لا إشراق فيه، إذا ما قورن بالشعر الملهم".

إن هذه الأقوال، تدل على أنهم لم يستطيعوا تعريف الشعر، بل حاموا حوله، وحاولوا بيان أثره في من يستمع إليه، وظل الأمر كذلك طوال القرون، ولا يتسع المجال في هذه المقدمة للبحث في كتب الأدب والنقد في العصور كلها؛ لأني لا أكتب بحثاً علمياً بالمعنى الأكاديمي المعروف، بل هي خواطر عن فكرة أظن أنها تحوم في قلوب كثير من الناس المهتمين بالشعر، وبالقول الجميل في عصرنا الحاضر. وثمة محاولات معاصرة في تعريف الشعر، وقد رأيت أنها تحوّم حول الإحساس بالشعر، دون أن تضع له تعريفاً محدداً، أو تعريفاً مقرراً.

شاركت ذات يوم في مؤتمر أدبي في جامعة آل البيت-الأردن، وقد استمعت في إحدى الجلسات إلى زميلة كريمة ألقت كلمة بعنوان: الشعر لا هوية له ولا دين، قالت فيها: "الشعر هو اللحظة الأولى... وكل لحظة أولى هي لحظة شعرية بامتياز، كتبنا فيها الشعر أم لم نكتب؛ أول الفرح، وأول الحزن، وأول الحب، وأول الفراق، وأول اللقاء، وأول كل تجربة خاصة وعامة". وتلاحظ أن الباحثة تريد أن تعرّف الشعر، ولكنها لم تستطع التقاط الخيط، لم تستطع أن تعرفه كما تعرّف الأشياء، أو المصطلحات الأخرى.

ثم أضافت تقول، وهي تعلق على قصيدة أبي القاسم الشابي المشهورة:

إذا الشـــــعب يومــــــاً أراد الحيـــــاة

فـــــلا بــــد أن يســــتجيب القـــــدر

"هذه الأبيات التي صارت عنواناً وشعاراً يتخطى تونس، ويتخطى الظروف التي دفعت أبا القاسم لكتابة هذه القصيدة، لتصير شعارَ المرحلة التاريخية التي تمر بها أمة العرب جميعاً، وصورةً لوجدان العربي من خلالها، وعنواناً إنسانياً يردده البشر في كل زمان ومكان، ولذلك مات صاحب القصيدة الأول، وانتهى زمانه، وتغير مكانه، وصار كل من يردِّدُها بعده هو صاحبُ القصيدة، وهويتُها الإنسانية هويتُه؛ لذلك لا هوية للشعر الحقيقي".

إن هذا لتعبير جميل عن السمة الإنسانية في الشعر الجميل، المؤثر، وقد قلت قبل قليل: إن الشاعر يذهب، وإن الأمكنة التي تغنى بها زالت وتغيرت، وإن القرى والبلدان التي عاش فيها تغيرت، وإن الناس الذين كانوا معه، ذهبوا معه.. ولكن الإحساس النبيل الذي تحدث به، والشعور الإنساني الذي حرّك وجدانه، ظل حاضراً؛ لان لدى كل فرد منا شعور وإحساس مثله. إن الذي حركه الشاعر بأشعاره إنما أخرجه من ذَوْبِ قلبه، وزَرَعَه في قلوبنا، وحرّك به مشاعرنا وأحاسيسنا، ولذلك ترانا ما زلنا نردد تلك الأقوال، وتلك الأشعار، وتلك النصوص الحيّة على مرّ السنين.

دعنا لا نتكلف بوضع تعريف محدد للشعر؛ فالشعر هو هذا الذي نحسه حيّاً في قلوبنا، يتحرك في جوانحنا كلُّ ما سمعناه، أو أنشدناه، أو قرأناه، جاهرين أو

صامتين.

أرجو أن نعيش في أجواء الشعر، لا نتكلف له تفسيراً ولا تنظيراً. إن الشعر الصادق الحيّ الخالد، هو الذي تجتمع فيه المعاني الراقية مع الإيقاع المؤثر، مع الإحساس الجميل، فتنبعث في النفس تلك النشوة، وتتحرك في القلب تلك الجذوة من انسجام المعنى مع الوزن والإيقاع، فتظل حيّة مع الإنسان كلما ردد تلك الألحان العذبة من الشعر الخالد.

الأستاذ الكبير الدكتور ناصر الدين الأسد عَلَمٌ من أعلام اللغة والفكر والأدب في عصرنا هذا، وهو عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولكن كثيراً من قرائه لا يعرفون أنه شاعر مجيد. وقد فاجأ الناس في يوم تأبين أحد أصدقائه بقصيدة جميلة مؤثرة، قال في مطلعها:

تســــــابقنا النوائـــــب والخطــــــوب

وقـــــد طــــال التفجّــــعُ والنحيــــب

فقلت أجيبه بهذه التحية الشعرية، اعترافاً بفضله في خدمة اللغة، وحفزاً للأخوة القراء على الاهتمام بلغتنا العربية الشريفة، وإعلاء مكانها في شؤون الحياة كلها.

لسان الضاد

أجِــــدّكَ مـــا الــــذي يمضــــي يـــؤوبُ

وإنْ طــــــال التفجّـــــعُ والنّحيـــــبُ

نُعـــــزّي أنفســــاً بجميـــــل صَـــــبْرٍ

وَتَقْهَرُنــــــا النّوائـــــبُ والخُطـــــوب

عجيــــبٌ أمـــــرُ هـــــذا النّـــاس فينـــا

وكـــــلُّ حياتنــــا أمــــرٌ عَجيـــــبُ

نجـــوبُ الأرضَ تَخْـــدَعُنا الأمــــاني

تُوَجِّهُنـــــا شمـــــالٌ أو جَنــــــوبُ

نطيــــعُ الـــــنّفسَ فيمـــــا تدّعيــــه

وَنَنْســـــى أنّــــه عَــــرَضٌ مُريـــــبُ

ونســــعى في اطّــــلابِ الجـــاهِ دَوْمـــاً

يبعثــــــرُ عُمْرَنـــــا سَـــــعْيٌ دؤوبُ

يُؤَرقُنـــــا الوصـــــولُ إلى المَعـــــالي

فَطَعْــــمُ الجـــاهِ في الـــدّنيا رغيـــبُ

نعـــيش العمــــرَ في أمـــلٍ عـــريضٍ

فـــإنْ دَنَـــت المنيّـــةُ قيـــل توبـــوا

نتـــوبُ، وَيَنْـــثني في الـــنفسِ شـــيءٌ

يُحَـــــدّثنا بأنّـــــا لا نتـــــوبُ

***

وَيَصْـــدَعُنا النّعِـــيُّ غَـــداةَ يَـــوْمٍ

فَنُبْهَـــــتَ ذاهلـــينَ ولا نُجيـــبُ

وَنَخْشَـــع لحظـــةً ونـــذوبُ حزنـــاً

ويوقَـــد في الحَشـــا جمـــرٌ لهيـــب

ونحمِلُـــــه، ونمضـــــي في جـــلالٍ

ويفقـــد صـــبرَه القلـــبُ الصّـــليبُ

«يعـــزي بعضُـــنا بعضـــاً ونمضـــي

إلى هــــدفٍ تُغيّبـــــهُ الغُيـــوب»

ونـــبني للـــــوَداع سُـــــرادِقاتٍ

وَيَسْـــتبقُ المُقَصّـــــدُ والخَطيـــب

نَعُـــــدُّ لـــــه المـــــأثرَ والمزايـــــا
وَنُعْلِــــنُ أنـــه الفَطِـــنُ اللبيـــب

مَضـــــى لســـبيله خِـــلٌّ عزيـــز
فـأين مضـى، وكيـف قضـى؟ أجيبـوا

«وكــــلّ أخٍ مُفارقـــه أخـــوه»
غـــداةَ غـــدٍ، وكـــلُّ غَـــدٍ قريـــب

وقـــالوا مـــات، لا، مـــا مـــات حَـــيٌّ
تخلّـــده المـــآثرُ والطّيـــوب

وقـــالوا عـــاشَ، مـــا معنـــى حيـــاةٍ
تُغَلّفهـــا المـــآثِمُ والـــذّنوبُ

فكـــم مَيْـــتٍ يَظَـــلُّ الـــدّهَر حَيّـــا
وكـــم حـــيٍّ تُجافيـــه القُلـــوبُ

***

أَلِفّنـــا أنْ نـــودّعَ مَـــنْ فَقَـــدْنا
بأحفـــالٍ وأقـــوالٍ تَطيـــبُ

وأَحْــــــرَى أنْ نكـــــرّمَ رائــــــدينا

وهـــــمْ فينـــــا جهابــــذة قُطـــوبُ

وفينـــــا ســــــادةٌ نُجُـــــبٌ عِظـــــام

لهـــم في كـــــل مَكْرُمَـــــةٍ نَصـــيبُ

أبـــا بشـــر أثـــارَ شـــجونَ نفســـي

قصـــــيدُك، والبيـــــانُ لـــــه دروبُ

تَسَلْسَـــــــلُ في مواقفــــك المعــــاني

ويزهـــو قولُـــك العـــذبُ الطّـــروبُ

فتنشـــــدُ إنْ أردتَ القـــــولَ شِـــعرا

نَظيمـــــا، تَسْـــــتَهِلُّ فيســـــتجيبُ

وترســـــلُ إنْ أردت القـــــول نثـــراً

بَــــديعاً، تَسْـــــتَجيدُ وَتَسْـــــتَطيبُ

وتُســـعدُ ســـامعيك وهـــم كـــثير

بقـــولٍ كُلّـــهُ مِسْـــك وطيــــبُ

ويـــــأتيك المُريـــــدونَ اشـــــتياقاً

وكلُّهُـــــمُ صـــــديقٌ أو حبيـــــبُ

ذَكَـــرْتُ الأصـــفياءَ ولســـت مـــنْهُمْ

عســـى أنّـــي بـــذكرِهِمُ أُصـــيبُ

أكـــتّمُ في الفـــؤادِ هـــوىً دفينـــا

صَـــفيَّ الـــود، لـــيسَ لـــه ضَـــريبُ

وَلَـــمْ أرَ مِثْـــلَ حُـــبّ الضّـــاد عَهْـــداً

تَقَاصَـــرَ دونـــه الحَسَـــبُ النّســـيبُ

أبـــا بشـــرٍ رحيـــقُ الضـــاد سِـــحْرٌ

تَمَشّـــى في الضّـــلوع لـــه دَبيـــبُ

أُفَـــدّي سِـــحْرَه بـــأَبي وأمـــي

فقلـــبي مِـــنْ هَـــواهُ جَـــوٍ سَـــليبُ

❊❊❊

أبـــا بشـــرٍ، لســـانُ الضـــاد أَضْـــحى

غريبـــاً، غالـــه المَكْـــرُ الرّهيـــب

أبـــا بشـــرٍ، لســـان الضـــاد يشـــكو

ومـــا لِشَـــكاتِهِ فينـــا طبيـــبُ

ينـــــادي أهلَـــــه أَســـــفاً حَزينـــــا

ومـــــا لندائـــــه مِنّـــــا مُجيـــــبُ

لســـــانُ الضّـــــاد أَسْـــــلَمَهِ بنَـــــوهُ

وَقُـــــرّبَ دونَـــــهُ القَـــــوْلُ الغَريـــــبُ

كـــــلامُ النـــــاس أضـــــحى أعْجَمِيـــــاً

فـــــلا حُـــــرٌّ يَغـــــارُ ولا رَقيـــــبُ

أبـــــا بشـــــرٍ بثتـــــكَ ذَوْبَ نَفْســـــي

وقـــــد يُشْـــــكى أَحِبّتـــــه الحبيـــــبُ

لســـــانُ الضـــــاد يـــــدعو عاشـــــقيه

وأنـــــت العاشـــــق الحـــــامي المهيـــــبُ

وكـــــم عَرَفَتْـــــكَ للفُصْـــــحى أيـــــادٍ

زَكَـــــتْ وَزَكـــــا بهـــــا الفِكْـــــرُ الخصـــــيبُ

ألقى الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، في يوم تأبين أحد أصدقائه قصيدة، قال في مطلعها:

ذَهَـبَ الأحبـةُ راحـلٌ في إثـر راحـل

وتفرّقـت آثـارهم طـيَّ المجاهـل

سر المحبة

مهداة إلى الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد

لِمـنَ الأزاهـرُ والمفـارِشُ والمنـازلْ

وَمَـنِ الحبيـبُ تَزُفُّـهُ تلـك المشـاعلْ

وَمَـن الأديـبُ الألمعـيُّ غرامُـهُ الفُصْـحى يَتيـهُ بـحُبّها بـين القبائـلْ

يـا عاشـقَ الفصـحى وَزَيْـنَ دعاتهـا

تَزْهـو بِـهِ وَتَعُـدُّهُ فَخْـرَ السـلائلْ

صُـغتَ القصـيدَ مُجلّيـاً وَنَهَلْـتَ مِـنْ

سِـحْر البيـانِ وَطُفْـتَ في أَشْـهى الخمائـلْ

في كُـلّ حَقْـلٍ أنـت أَوّلُ قائِـلٍ

وَلَقَـدْ عَهِـدتُكَ دائمـا بَـيْن الأوائـلْ

أعيـا الشـبابَ نَشـاطُكُمْ وَفَعَـالِكُمْ

وَنَشـاطُكُمْ أَعْرَبْتُـه للنـاسِ فاعـلْ

في الجامعــــات وفي المجــــالس جَــــدْوَةً

تــبني المنــاهجَ والقواعـــدَ والوســائلْ

أَمْضَـيْتَ عُمْـرَكَ في رِحـابِ العِلْـم مُعترِفـاً تُؤَلِّـفُ أَوْ تُحاضِـرُ أَوْ تُسـائِلْ

وَبَّــذلْتَ جُهْـدَكَ في شـؤون النّـاس مُحْتَسِـباً تُؤَسّـسُ أَوْ تُـنَظِّمُ أو تُقابــلْ

وَلطالمــا ودّعــت صَــحْبَكَ مُنْشِــداً

شِــعْراً ونثــراً لا يُطاولــه مُطــاولْ

بــابي أبــا بِشْــرٍ يقــولُ مُواســيا

«ذَهَـبَ الأَحِبَّـةُ راحـلٌ في إِثْـر راحـلْ»

ذَهَــبَ الأحبــةُ وانْقَضَــتْ أخبــارهُم

«وتفرّقَــتْ آثــارُهُمْ طَــيَّ المَجاهــلْ»

أَتُــراهُمُ سَــعِدوا لأوّلِ حَشْــرِهِمْ

أَمْ أنهــمْ طفِقــوا يَعَضّــونَ الأنامِــلْ

أَتُــراهُمُ ذَهَبــوا إلى أقــدارِهِمْ

أَمْ أنهــمْ عــادوا إلى بَــدْءِ المراحــلْ

ذهبــوا وعــادوا! مَــنْ يحـيطُ بِسِــرّهِمْ

أَمْ هــل تسـاوى في الــورى فَطِــنٌ وجاهــلْ

مـاذا الحيـاةُ؟ ومـا الممـاتُ؟ وأيـن يمضـي النـاسُ؟ مـا نَبَـأُ الأواخِـرِ والأَوائِـلْ

مــا سِــرُّ هــذا الكــونِ تُشْــرِقُ شَمْسُــهُ

وتَغيــبُ مــا بــين الصــبيحةِ والأَصــائلْ

وخــلالَ ذِلــكَ يَعبُــرُ الإنســانُ يَخْطِـفُ عُمْـرَهُ خَطْفـاً سَـريعاً دون حائِـلْ

هــل كُــلّ مــا في الأمــرِ أنَّ حياتَــهُ

تمضــي ســريعاً في المشــاربِ والمأكــلْ

أَوَ لَــمْ يَــرَ الإنســانُ أنَّ مصــيرَهُ

أسمــى وأكــرمُ مِــنْ عبــورٍ دونَ طائِــلْ

كــلاّ لـئنْ لم يَعمـلِ الإنسـانُ للأُخـرى فَلَـنْ تلقـاهُ بَعْـدَ اليـوْمِ عامِـلْ

ربـاه! هـلْ تِلْـكَ الحيـاةُ هُنـاكَ وَصْـلٌ للحيـاةِ هُنـا وَقَلْـبُ المـرءِ وَاصِـلْ

سـبحان ربّـي كلمـا أنعمـت في الـتّفكيْرِ قُلْـتُ بـأنّ خَلْـقَ اللهِ كامِـلْ

لكنمــا الإنســانُ يســمو روحُــهُ

آنــاً فَيَرْقَــى نَحْــوَ أبــراجِ الفَضَــائِلْ

وتــراه آنــاً في الضــياعِ يعــيشُ في

لَهْــوٍ وَفي شُــغْلٍ عَــنِ الإيمــانِ شــاغِلْ

طَبْــــعٌ لـــــدى الإنســـــانِ إمّـــــا ذاكِـــــرٌ

يَوْمــــاً وإمّــــا عَـــنْ طريــقِ الَحــقّ غافِــلْ

هـــــذى الحيـــــاةُ شـــــؤونها والمـــــرءُ في

لُـــجِّ الحيـــاةِ يَمـــوجُ في حَـــقّ وَباطِـــلْ

عــذراً لاســتاذي الجليــل إذا اســتبدّ بِــيَ السّــؤالُ وَحِــرْتُ في هــذي المسـائِلْ

فأنــا أُتــابعُ نَهْجَكُــمْ في البَحــثِ والــتّفكيْر والتّعَــبْير في شَــتّى المحافِــلْ

عَـــوَّدْتُ نَفْســـي أَنْ أُعـــارِضَ شِـــعْرَكُمْ

كـــالمرءِ يَحشُـــرُ نَفْسَـــهُ بَـــينْ الأَفَاضِـــلْ

فـــإذا أَصَـــبْتْ فَـــذاكَ سِـــحْرُ بيَـــانِكُمْ

عَـــادَتْ علـــيَّ بفَضْـــلِهِ بَعْـــضُ النّوافِـــلْ

تحية اللقاء

ألقيْتُها في حفل افتتاح الأسبوع الأردني للأدب الإسلامي في المغرب، في جامعة محمد الخامس بالرباط يوم الثلاثاء الموافق ٢٠/٦/٢٠٠٦م.

بكـــــلِّ الشـــــوقِ للقيـــــا أتينـــــا
نحيِّـــــي المغـــــربَ الغـــــالي علينـــــا

دَعانـــــا للقـــــاء هنـــــا بِـــــوُدّ
كـــــذا شـــــأنُ الأخـــــوة مُـــــذْ وَعَيْنـــــا

فَمِـــــنْ أرضِ الربـــــاط أتـــــتْ وفـــــودٌ
تُـــــؤدّي للربـــــاط الحُـــــرّ دَيْنـــــا

حبَانـــــا قبـــــل أن نلقـــــاه وُدّا
فكيـــــفَ الـــــوُدُّ منـــــه إذا التقينـــــا

ونخشـــــى إنْ أَطلنـــــا المُكْـــــثَ فـــــيكم
تُخالفنـــــا النفـــــوسُ إذا انتهينـــــا

وتـــــأبى أن تُطاوعَنـــــا إذا مـــــا
دعَوْنـــــا للرحيـــــل، تقـــــول: أينـــــا؟

تعلقـــــت النفـــــوسُ بكـــــم ســــــريعاً

فـــــأنتمْ ملؤُهـــــا قلبـــــاً وعينـــــاً

فمـــــا الســــــرُّ الـــــذي نلقـــــاهُ فـــــيكمْ

ومـــــا السِّـــــحرُ الـــــذي منـــــهُ انتَشَـــــيْنا

رَشَـــــفْنا مـــــن جَنـــــاه الشـــــهدَ صِـــــرْفاً

قرأنـــــا الآيَ منـــــهُ ومـــــا وَنَيْنـــــا

ونتلـــــو فيـــــه آيـــــاتٍ حِســـــاناً

علـــــى مَـــــرِّ الزّمـــــان ومـــــا ارْتَوَيْنـــــا

عَجائبـــــهُ بيـــــانٌ مســـــتنيرٌ

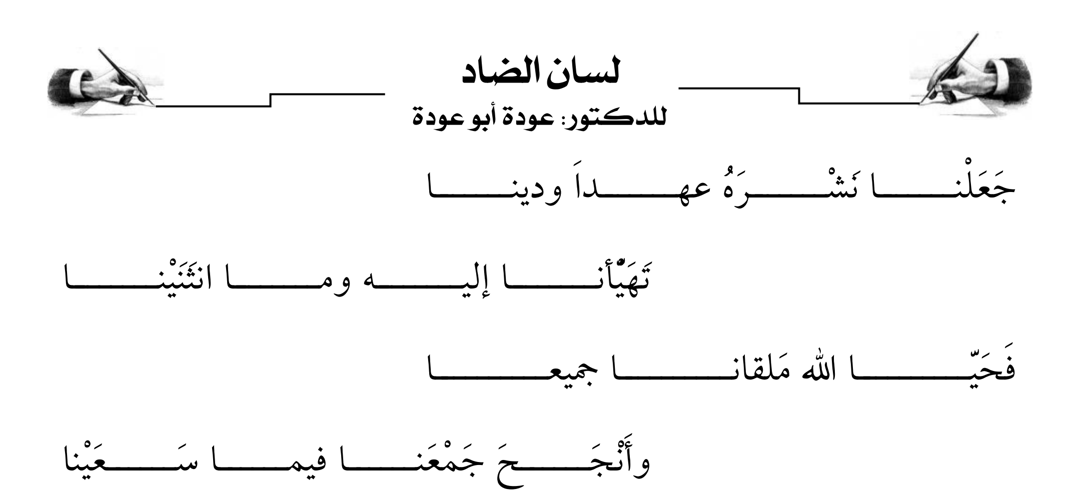
تُحـــــاكي نَظْمَـــــهُ شَـــــرَفاً وَزَيْنـــــا

تعلَّمْنـــــا الفصـــــاحَة في هُـــــداهُ

وَذُقْنـــــا سِـــــحْرَهُ لمـــــا اهتَـــــدَيْنا

فـــــذا الأدبُ الـــــذي نســـــعى إليـــــهِ

وذا الأدبُ الـــــذي يســـــعى إلينـــــا



جَعَلْنـــــا نَشْـــــرَهُ عهــــداً ودينـــــا

تَهَيَّأنـــــا إليـــــه ومـــــا انثَنَيْنـــــا

فَحَيّـــــا الله مَلقانـــــا جميعـــــا

وأَنْجَـــــحَ جَمْعَنـــــا فيمـــــا سَـــــعَيْنا

بِرْكانُ

بركان مدينة في عمالة وَجْدة، في أقصى الشمال الشرقي للمغرب، عَملْتُ فيها معلماً بين سنتي ١٩٧٥ – ١٩٧٩، ثم زُرْتُها مرتين قبل هذا اللقاء الثالث الذي تم في ٢٨/٦/٢٠٠٦ ضمن أعمال الأسبوع الأردني للأدب الإسلامي في المغرب. فألقيتُ فيها محاضرة علمية، ثم أهديْتُ إلى أهلها هذه القصيدة.

كـــم طوّفـــتْ بـــك في الآفـــاق بُلـــدان
وكـــم شَـــكَوْتَ فمـــا أشـــكاك إنســـانُ

ورُحْـــتَ تَسْـــألُ عـــن خِـــلٍّ تلـــوذُ بـــه
صَـــعْبٌ لَعَمْـــرُك قَـــلّ النـــاس بـــل هـــانوا

وضـــاقت الـــنفسُ بالآهـــاتِ تحملُهـــا
واسْـــتَجْهلتكَ تبـــاريحٌ وأحـــزانُ

حتـــى إذا عَـــزَّ وُدُّ النـــاس وانصـــرفوا
وغـــالَ نَفْسَـــك إعـــراضٌ ونُكْـــرانُ

يَمّمْـتَ وَجْهَـك نَحْـو الغَـرْب، حيـث لـه
في ســـالف العمـــر أزهـــارٌ وأفنـــانُ

هـــا أنـــتَ ذا في بـــلاد الرّيـــف مبتهجـــاً

فـــافتحْ عيونَـــك، هـــذي الآن بِـــرْكـــانُ

بـــِركانُ حُـــبي وَوَجْـــدي مـــا أُكتِّمُـــهُ

وكيـــف أُخفـــي الهـــوى والوجـــهُ عنـــوانُ

أتيتُهـــا وشـــبابُ العمـــر مورِقَـــةٌ

أشـــجارُهُ، وربيـــعُ القلـــب فينـــانُ

بـــِرْكانُ وُدّي وَعِشْـــقي منـــذ أن نَظَـــرتْ

لـــي نظـــرةً ملؤُهـــا وُدٌّ وتَحْنـــانُ

نَزَلْـــتُ فيهـــا غريـــبَ الـــدار ملتفتـــاً

لا الأهـــلُ أهْلـــي ولا الخِـــلاّنُ خِـــلاّنُ

فاســـتقبلتْني بِتَرحـــابٍ وتكرِمـــةٍ

كـــأنني مِـــنْهُمُ مُـــذْ كنـــتُ أو كـــانوا

كـــانوا كِرامـــاً ذوي وُدّ وســـابقةٍ

ولا يزالـــون، أجـــوادٌ وفرســـانُ

الجـــودُ جـــودُهُمُ والخَيْـــرُ طَـــبْعُهُمُ

لا يُلْحقـــونَ، ومـــا للسّـــبق إمكـــانُ

يـــا أهـــلَ بِرْكـــانٌ قـــد عَـــزّ البيـــان بكـــمْ
وليـــــت حُبّـــــيكُمُ يُبديـــــه تَبْيـــــانُ
فـــيكمْ نَشَـــأتُ وفـــيكمْ شـــبَّ صِـــبْيتنا
يَضّـــــاحكون أُصُـــــيْحابٌ وخِـــــلانُ
عبـــدُ الإلـــه، وحُـــبَّ الله، ويحيـــاوي
عبـــدُ الحميـــد ومحمـــودٌ وعثمـــانُ
يـــا أهـــلَ بِركـــانَ أكْـــرَمْتُمْ وِفادتنـــا
كأننـــا معكـــمْ رَوْحٌ وَرَيْحـــانُ
زُرْنـــا المرابـــعَ في بـــرِكانَ أجْمَعهـــا
كأنّنـــا الأهـــلُ، والأهلـــون ضِـــيفانُ
يـــا حبـــذا خُبْـــزَةٌ تُشْـــجيكَ زُبْـــدَتُها
وَحَبّـــذا شُـــرْبَةٌ تَسْـــقيك فَـــزْوانُ
وحَبّـــذا نُزْهَـــةٌ في زكْـــزِلٍ ولـــه
يسّـــابقُ النـــاسُ أفـــواجٌ وَوِحْـــدانُ
وفي مَـــداغٍ وأكْلـــيم تَمُـــدُّ لنـــا
كـــأسَ الحليـــب فظمـــآنٌ وريّـــانُ

وحبـــــذا ســــــهْرةٌ قَصَّــــرْتُ ليلتَهـــــا

بـــــين الأحبــــة:؟ أشـــــياخ وشُـــــبّانُ

قـــد صــــار حُبّـــيَ في الأوســـاط مُشْـــتَهراً

يسَّــــاءلون، وبعــــضُ الظّـــــنّ بُهْتَـــانُ

كـــم جـــاء يســـألني صَـــبٌّ يـــراوغني

هـــل للحبيـــب الـــذي تهـــواهُ عنـــوانُ؟

فقلـــــتُ أُعلنُـــــهُ للنـــــاس قاطبـــــةً

إنّ الحبيـــب الـــذي أهـــواهُ: بِـــركـــانُ

الثلاثية الأولى

أقرئه عنَي الجوى

نبيلة الخطيب

في أواخر رمضان من عام ١٤٢٢ من الهجرة، قلت للسيدة نبيلة الخطيب، الشاعرة المبدعة إني مسافر إلى العمرة، فقالت بصوت دامع وقلب خاشع: اقرئه عنِّي الجوى. وعندما عدت أهدتني قصيدة بهذا العنوان المثير «أقرئه عني الجوى» من تسعة عشر بيتاً فاضت على قلبها في تصوّر مشهد زيارة مسجد النبي ﷺ، والسلام عليه. وفيما يلي نصُّ قصيدة السيدة الشاعرة نبيلة الخطيب.

الرمـــــلُ يَـــــمٌّ والقلـــــوبُ ضِـــــفافُ
والكـــــونُ إذْ أنـــــتَ الحبيـــــبُ شِـــــغافُ

المـــوجُ مَـــوْرُ دمـــي وشـــوقي مـــركبي
خـــذني إليـــه وأضْـــلعي المجـــدافُ

يســـعى الحبيـــب إلى الحبيـــب تكتّمـــاً
وإليـــه ســـعيُ العاشـــقين طـــوافُ

فمـــن الفِجـــاج الشـــاردات توافـــدوا
لا غَـــــرْوَ إذ أنـــــوارُهُ إيـــــلافُ

يتهـــامس الخِـــلانُ ســـاعةَ خَلْـــوَةٍ

ولِشَـــجْوِهِ في الخافقـــات هُتـــافُ

هـــو ســـيّدُ الخَلـــق الـــذي مـــن حُســـنه

تتفـــاخرُ الأخـــلاقُ والأوصـــافُ

الســـيّدُ القرشـــيّ غُرّتـــه السّـــنا

وتســـربلتْ بضـــيائه الأكنـــافُ

الزاهـــرون الطـــاهرونَ جـــدودُه

وجنـــودُه ورجالُـــه الأحنـــافُ

تســـبيحُه القـــرآنُ يُحيـــي ليلـــه

أنعِـــمْ بـــه، وحديثُـــه إتحـــافُ

اقرئْـــهُ عنّـــي مـــا وَسِـــعْتَ مـــن الجـــوى

فلـــه ودادي كـــامنٌ وعِطـــافُ

القلـــبُ ســـربَله الحـــنينُ لنـــوره

والطـــرفُ مـــن شـــوق بـــه ذرّافُ

مـــا زاد عـــن حجـــم الإنـــاء مطفِـــفٌ

إلاّ هـــواه فمـــا بـــه إســـرافُ

إن ســــربلتكَ طيوبُـــه قـــف صـــامتاً

فالصـــــمت في أعطافـــه اســـتعطافُ

ولعـــل دمعـــك حـــين يهمـــي موقظـــاً

قلـــب الرمـــال تـــبرعم الأفيـــافُ

مـــاذا عســـاك تبثـــه؟! واخجلتـــا

ممـــا يُجـــن غضاضـــة ويُعـــافُ

في عصـــرنا المســـتخلَفون تخلفـــوا!

مســـتخلَفون؟! وأيمـــا اســـتخلافُ

ذبنـــا علـــى عُـــرُش التقـــادم والخنـــا

أغـــرى بنـــا المستعســـلين قطـــافُ

كنّـــا بلجْنـــا الصـــبح في غســـق الـــدجى

حتـــى انحنـــتْ لرجالنـــا الأعـــرافُ

كنّـــا صـــدورَ العـــالمين أئمـــة

واليـــوم مـــن دون الـــورى أطـــرافُ

وشـــراذم الأحـــزاب بـــاتوا أمـــةً

وكأننـــا في جمعنـــا أَنْصـــافُ

شـــقّوا العواصـــمَ كُـــلُّ عاصـــمة لهـــمْ

وله ـــــمْ عليهـــــا يَبْـــــرقٌ رفـــــرافُ

** ** ** **

النـــــاسُ في كنـــــف الحيـــــاة تعجّهـــــم

وتمجّهـــــــم، لكـــــــنهم غُـــــــرّافُ

إلا الـــذين قـــد اســـتقوا فـــيضَ السّـــنا

مـــن نبعـــه فـــإذا بهـــمْ عُكّـــافُ

مـــاذا يضـــيرُ النـــور في لألائـــهِ،

بـــين المغـــائر إنْ هـــذى سفســـافُ؟!

المؤمنـــــون يُحَلّقـــــون إلى السّـــــنا

وســـواهمُ تحـــت الثـــرى زُحّـــافُ

في غفـــوة الآصـــال يَعتمـــلُ الســـنا

ليَمـــورَ في الأســـحار وهـــو رُعـــافُ

حتـــى إذا ائتلقـــت غـــلالات المنـــى

وتـــداعت الأســـباب والأهـــدافُ

قلنـــا بمـــلء الضـــاد- وهـــي عظيمـــة-

إنـــا وقـــد سُـــدنا الـــدنا الأشـــرافُ

أقرئه عنَي الجوى

فتأثرت جداً بقصيدتها، وقلت من وحيها هذه الأبيات وجعلتها بالعنوان نفسه:

الحـــــبُّ أنـــــتَ وكُلـــــهمْ أطيــــافُ
هيهـــات تبلُـــغُ قـــدرك الأوصـــافُ

والنــــورُ أنـــت إذ المنـــازِلُ سُــدفةٌ
وبـــِك الرّجـــاءُ إذ القلـــوبُ عِجـــافُ

أرســـلُتَ نــــورَك في الأنـــام مُبشِّــــراً
فانجابــــت الأوهـــــام والأســــدافُ

ســـارت مـــع الشـــمس البصـــائر والهـــدى
فالخافقـــــان مـــــــودةٌ وعفـــــافُ

والأرض ذاتُ العَـــرْضِ فَـــيْضٌ غـــامرٌ
تربـــو بــــه الجرعـــــاءُ والأفيــــافُ

والســـــابقون تبـــــوّؤوا إيمــــانَهُمْ
فهُـــــمُ بنُــــورك ســـــادةٌ أشـــرافُ

شـــــادوا بِعلْمِهُـــــمُ بنــــاءً شــــامخاً

سَـــعِدَتْ بفضــــل بُناتِـــه الأطـــرافُ

إن أَشْــــرَقَتْ شمــــسُ النهـــارِ فــــإنّهمْ

أبطـــالُ حـــرب للجهــــاد خِفــــافُ

وإذا ادْلَهَــــمَّ الليـــلُ كُنْـــتَ تَـــراهُمُ

طــــه صــــلاتُهُمُ وهُــــودُ وقَــــافُ

* * * * * * *

لكــــنّ خَلْفَهُـــمُ أضــــاعُوا رُشْـــدهُمْ

فاسْــــتَحكم الإتـــــلافُ والإســـــفافُ

وهَـــوَوْا علـــى أعقــــابهم وتنكّـــروا

لا الحــــبُ حُــــبُّهمْ ولا الأهــــدافُ

بـــالأمسِ كـــان اللهُ نـــورَ قلـــوبهمْ

واليَـــوْمَ نائِـــلُ قَصــــدُهُمْ وإســــافُ

نَهَلــوا مـــن الـــوِرْد العظـــيم حيـــاتهُمْ

واليـــوم وِرْدُهُــــمُ صَــــدىً وجفـــافُ

«هتفـــوا بمـــلْ الضـــاد وهـــي عظيمـــةٌ»

واليـــــوم عِـــــيٍّ قـــــولُهم وزِحـــــافُ

****

ربَـــــاه عفـــــوك قـــــد تملَّكنـــــا الأســـــى

ممّـــــا نـــــراهُ، وغـــــيرُهُ أَضْـــــعافُ

ربَـــــاه قَـــــدْ وَســـــعتْ عبـــــادَك رحمـــــةٌ

مـــــن فـــــيض نـــــورك فيضُـــــها غَـــــرّافُ

ربـــــاه قـــــد هُـــــدنا إليـــــك فأســـــرعت

نَحْـــــوَ الرّحـــــاب الأنفُـــــسُ المهيـــــافُ

تاقـــــت نفوسُـــــهُمُ إليـــــك فكبّـــــروا

وسَـــــعَوْا إلى البيـــــت العتيـــــق وطـــــافوا

هَفَـــــتْ القلـــــوبُ إليـــــك وهـــــي تهيّـــــبٌ

عنـــــد المقـــــام يهُزُّهـــــا التّرْجـــــافُ

هَبـــــوّا بشـــــوقِهُمُ إليـــــك وخلّفـــــوا

قلبـــــاً كســـــيراً دمعُـــــهُ تَـــــذْرافُ

يـــا نـــورَ كُـــلّ النّـــورِ هـــذي شمعـــةٌ

تـــذوي، وعنـــد جلالـــك الألطـــافُ

رَبَّ القُلـــوب، ومـــا لِقلـــبي ملجـــأٌ

مِمّـــا أتيـــتُ، وليـــتَ ذاكَ كفـــافُ

يـــا راكبـــاً تِلْقـــاءَ طيبـــةَ طالمـــا

مَنّيـــــتُ نفْســـــيَ أنّنـــــا أُلّاف

إنْ جِئْـــتَ فاصـــمتْ في حِمـــاهُ تخشُـــعاً

«فالصـــمتُ في أعطافِـــهِ اســـتِعطافُ»

«أقرئــهُ عنّــي مــا وســعت مــن الجــوى»

إنّ الجـــوى للعاشـــقين سُـــلافُ

ولـــئِنْ سُـــئلتَ فقُـــل لهـــم صَـــبٌّ ذوى

أورادهُ الأنفـــــالُ والأعـــــرافُ

الحُـــبُّ أنـــت، وغـــيرُ بابـــك موصـــدٌ

عنّـــي، وعنـــدكَ يُكـــرمُ الأضـــيافُ

وعندما قرأ الدكتور الشاعر حسن الأمراني هاتين القصيدتين، تأثر بها فقال قصيدته التالية بالعنوان نفسه، لتكتمل بها الثلاثية الأولى، التي عرفت وانتشرت في الوطن العربي، بعنوان: أقرئه عني الجوى.

أقرئه عني الجوى

حسن الأمراني

رفقـــا بإلفِـــكَ فـــالجوى إيـــلاف
يـــا وردةً تعيـــا بهـــا الأوصـــاف
بـــي لهفـــةُ الأم الـــرؤوم وشـــوقُها
والشـــوقُ قـــد تُضْـــنى بـــه الأعطـــاف
ويَـــرِفُّ قلـــبي كلّمـــا أودعتُـــه
سِـــرّاً، فقلـــبي العائـــذ الرفـــراف
نـــادى منـــادٍ، والمســـالك وَعْـــرةٌ:
الشـــوق يُـــودي، والجـــوى مِـــتلاف
فهتفـــت: نِعْـــمَ مطـــارفُ الشّـــهداء إذْ
جـــاءوا الجـــوى، إنّ الجـــوى إتحـــاف

وإذا الجـــوى اخـــترق الحصـــونَ مظفّـــرا

مـــــا تنفـــــعُ الآطـــــام والأســـــياف؟

ياقوتـــةَ العَـــرْش امســـحي تَعَـــبي فقـــدْ

أودى بـــــزورق شَـــــوْقِيَ التطـــــواف

حتّـــى عـــوالي السّـــرو إنْ أخفيتهـــا

خَفِيَـــتْ، ويخفـــى النخـــل والصفصـــاف

لكـــنّ نـــارَ العِشْـــق، موصـــولا، لهـــا

أَلَـــقٌ، وسِـــرّ بريقهـــا كَشّـــاف

وظلالهـــــا ممـــــدودة، ورمادهـــــا

سُـــرُرُ الجنـــان ونورُهـــا خَطّـــاف

خبأْتُهـــــا زَمَنـــــاً فلمّـــــا زُرْتَـــــني

هاجَـــتْ، فأفضـــى بـــالجوى الأُلاّف

فتخِـــذْتُ مـــركبتي ســـناها هاديـــا

نحـــوَ الحبيـــبِ مســـيري الإِدلاف

والقلـــبُ مزدلِـــفٌ إلى أحبابـــه

وقلـــوبُ أَربـــاب الغَـــرام رِهـــاف

تتلـــو كتـــابَ الله والقلـــبُ ارتـــوى

فالـــــدّمع زادٌ والأنـــــينُ قِطـــــافُ

ذاقـــوا علـــى البعـــد الجـــوى فتواعـــدوا:

(الرمـــل يـــمٌّ، والقلـــوب ضـــفاف)

وإذا أنـــا قبّلـــتُ طِيـــب ترابـــه

حَيَّـــتْ بطيـــب ترابـــه الأطـــراف

يـــا ليـــت أنـــي ذرة في العشـــق مـــن

أحـــدٍ، عنـــت لســـمائي الأشـــراف

أو أنـــني ســـعَفٌ لجـــذعٍ مُـــدْنَفٍ

عَجِبَـــتْ لِمُـــرّ أنينـــه الأَدنـــاف

أحبـــابَ قلـــبي، والجـــوى مـــتمكّن

هـــلْ عِنْـــدكمْ لجـــرّح إســـعاف؟

أنـــا إنْ رفعـــتُ يـــدي إلى ربّ الســـما

والـــروح مـــن وقـــر الـــذنوب يخـــاف

والقلـــبُ مضـــطَرِمُ الجوانـــب خَشْـــيةً

أنْ يهلـــكَ التفـــريطُ والإســـراف

فلقـــد مرانـــي أنّ قلـــبي مـــوقن

بـــالعفو تنشـــر ظلّـــه (الأعـــراف)

ويـــرف قلـــبي خاشـــعاً متـــذللاً:

يـــا ربّ، شـــوقي هـــا هنـــا أضـــعاف

****

طيـــفٌ ألمّ عَنَـــتْ لـــه الأطيـــاف

ترتَـــدّ دونَ جمالـــه الأوصـــاف

خَطَّـــتْ علـــى الأبـــواب أقـــلامُ الجـــوى:

الشـــوق أغلـــبُ، والقلـــوبُ ضـــعاف

نشـــوى وفي أحشـــائها مـــارَ اللظـــى

سَـــكْرى ولم تلعـــبْ بِهِـــنّ سُـــلاف

لكنـــه الشـــوق المقـــيم لأحمـــدٍ

هتـــفَ الفـــؤاد بـــه، وطـــاب هتـــاف

أقرئـــه عنـــى مـــا وســـعت مـــن الجـــوى

تفديـــه مـــني مهجـــة وشـــغاف

أقرئــه مــني مــا وســعت مــن الجــوى

مـــا اهتـــز بالبيـــت الحـــرام طـــواف

(مـــاذا عســـاك تبثـــه؟ واخجلتـــا)

وعلـــى القلـــوب مـــن الـــذنوب غـــلاف

شـــاهت وجـــوه القـــوم، مـــن قيـــل الخنـــا

فالشـــــهد ممـــــا زخرفـــــوه زعـــــاف

لـــو كـــان فينـــا خالـــد مـــا استأســـدوا

أو كـــــان فينـــــا هاشـــــم ومنـــــاف

وَلَغـــوا بِعِـــرْضِ محمّـــدٍ يـــا ويلـــهمْ

وكأننـــــا، وهـــــم الـــــذئاب، خـــــراف

أَهُـــــمُ أَشَـــــدُّ مِـــــنَ الجبـــــابرة الأُلى

ضَـــــمّتْهُمُ الأهـــــرامُ والأحقـــــاف؟

لكـــنَّ عُبـــدانَ الأســـرّةِ مـــا ارْعَـــوَوْا

فَهُـــــمُ بمحـــــراب الخنـــــا عُكّـــــاف

إنَّ صـــــارَ رُبّـــــان الســـــفينة تائهـــــا

أَيُـــــلامُ عنـــــد ضَـــــياعه المجـــــداف؟

ســــــتظلّ رايـــــــةُ أحمـــــــدٍ خفاقَـــــــةً

في كــــل نـــــاد، نَبْضُـــــــها رفـــــراف

وَتخِـــــرّ نائلـــــــةٌ، هَـــــوَتْ أعلامهـــــا،

ويَـــــذِلّ ممـــــا قَــــدْ جَنـــــاه إِســـــافُ

وجدة: ٢٠٠٥/١٢/١٨

٢٠٠٦/٠١/٢٩

«البيان العالي»

نَصُّ القصيدة التي ألقاها الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن، في حفل افتتاح الأسبوع المغربي للأدب الإسلامي في الأردن، يوم الثلاثاء الموافق ١٠/ ٧/ ٢٠٠٧م، في المركز الثقافي الملكي، وكان الاحتفال برعاية معالي الأستاذ الدكتور عادل الطويسي وزير الثقافة.

عهــــدُ الأخُـــوّة موصـــولٌ إلى الأبـــد

مُســـطّرٌ في حنايـــا القلـــب والكبـــدِ

عهـــدُ المحبـــة بـــاقٍ بيننـــا أبـــداً

إرثـــاً زَرَعْنـــاه بـــين الأهـــل والولـــدِ

يـــا إخـــوة المغـــرب الأقصـــى ســـعادَتنا

إذْ أنـــتُمُ عِنـــدنا حِـــلٌّ بـــذا البلـــدِ

أرضُ الرّبـــاط هنـــا هبَّـــت مُرحِّبـــةً

بأهلنـــا مـــن ربـــاط الفـــتح والعُـــدَدِ

يـــا مرحبـــاً بكُـــمُ، هـــذي مضـــاربنا

مضـــاربُ العـــزّ في الأردن ذي الحَشَـــدِ

كــــلُّ القلـــوب أتـــتْ تحظـــى بـــرؤيتكم

كَيْمــــا تُصـــافِحَكم شَـــوْقاً، يــــداً بيــــدِ

فنســــــتعيد حيــــاةً عنـــــدكمْ سَـــــلَفَتْ

عُمْـــــراً قضـــــيناه في عـــــزٍّ وفي حَفَـــــد

ذقنـــــا الســـــعادة في أفيـــــائكم زمنـــــاً

وعـــــاش صـــــبياننا في بهجـــــــة ودَدِ

فالقلــــب في مَـــــرَحٍ، والــــنفس في فــــرح

والعــــين في أمـــــل، والعمـــــر في رَغَـــــد

ثــــم انقضـــى عِقـــدُنا وانفـــضّ ســـامرنا

وقــــد تهيـــــاً لـــــي عَــــوْدٌ إلى بلــــدي

عُـــدْنا إلى بيتنـــا مـــن بَعْـــدِ مـــا قُضـــيتْ

أعمالّنــــا، وأبـــتْ نفســـي فلـــم تَعُـــدِ

ظلّـــت هنـــاك تعـــيش الـــودَ هانئـــةً

بالــــذكريات، وتأســــو الوجْــــدَ بالجَلَــــد

وكلمــــــا ذكــــــرَتْ أيــــــام بهجتهــــــا

والخـــــيرَ يغمُرهــــا بالصَّـــحب والحفـــد

هَيَّـــــتْ تـــــردد والــــــذكرى تُغالبهــــا
«يـــا دار ميّـــــة بالعليــــــاء فالســـــند»

مـــا أقْـــوَت الــــدار بـــل زادت محاســـنها
فالـــــدار بيضـــــاءُ والأهلـــــون في رغَـــــد

وأهـــــلُ مــــرّاكشٍ عَــــزّتْ مـــــآثرهمْ
يسَّـــــــابقون إلى العليـــــــاء في خَفَــــــد

وأهـــــلُ فــــاسٍ ومكنـــــاسٍ ومنــــزلهمْ
كَنْـــــز العلـــــوم فأســـــفارٌ بـــــلا عــــدد

وأهـــلُ طنجـــةَ يـــروي البحـــرُ مجـــدَهُمُ
إذ يحرُســــونَ حمــــى الأوطــــان كالرّصَـــد

وأهـــلُ وَجْـــدَةَ أُسْـــدُ الريـــف عنـــدهُمُ
تـــوطَّنَ الكــــرم الموصـــــوف بالحَـــــيَد

لأهـــــل بـــــرِكانَ شـــــوقُ في جوانحنــــا
مـــا عـــــاد يحملـــــه قلـــــبي ولا كبـــــدي

قـــومٌ تعلمـــتُ مِـــنْهم كُـــلّ صـــالحة

فـــالخيرُ بـــرِكان، آ والله يـــا ولـــدي[1]

قـــومٌ وَجَـــدْتُ لـــديهمْ كُـــلَّ مكرمـــة

فـالمغرب الأهـل هـم عِـزي وهـم سَـنَدي

يـــا إخـــوةَ الأدب السّـــامي أخـــاطبكمْ

كيمـــا أشـــدُّ بعـــزمٍ مـــنكُمُ عَضُـــدي

قـــد التقينـــا علـــى عـــالي البيـــان وقـــد

بـــان السـبيل فـــذا عهـــدي ومعتقـــدي

فـــــنحن في أردن الأحـــــرار مَـــــذْهَبُنا

عِـــزُّ الفصـــيحة لم نغْفُـــل ولم نَحِـــدِ

واللحْـــنُ في شـــرعنا عـــارٌ ومنقصـــةٌ

نأبـــاه مثـــل إبـــاء الزيـــف والزَّبَـــد

وعزنـــا في سمـــو الضـــاد نعرفـــه

والقلـــب للعـــز والأمجـــاد جِـــدُّ صـــدي

(١) قول شعبي مشهور عند أهل بركان عند الإعجاب برأي أو قول سمعوه. يقولون: «آ والله يا وِلْدي» بكسر الواو وسكون اللام.



فناصـــــرُ الــــدين[1] يهـــدينا يعلّمنــــا

ألّا نحيـــدَ عـــن الفصـــحى إلى الأبـــد

وناصـــرُ الـــدين يـــدعونا لِنَحْمِلَهـــا

عقيـــدةً رَسَـــخَتْ في القلـــب والكبـــد

واللحْـــنُ في حضـــرة الأســـتاذ معصـــيةٌ

فـــإنْ زَلَلْـــتَ فغـــادرْ ســـاحة البلـــد

فناصـــــر الـــــدين ينهانــــا يُحـــذّرنا

«ولا قـــرار علـــى زأرٍ مـــن الأســـد»

بـــالأمس كنـــا ملوكـــاً في حضـــارتنا

وســوف نبقــى غــداً فيهــا وبعــد غــد

نُخاطـــب النـــاس كـــلَّ النـــاس في أدبٍ

عـــذْب البيـــان بـــلا ضـــعف ولا عَقَـــدِ

يـــا إخـــوة الأدب العـــالي رســـالتنا

نســـعى إلى النـــاس في الأدنـــى وفي البُعُـــد

(١) المقصود الدكتور ناصر الدين الأسد.

نســـــعى لننشـــــر في الـــــدنيا محبَّتنـــــا

لكـــــل ذي أدب يـــــدعو إلى الرّشـــــد

لِكُـــــلّ ذي أدب[1] ســـــامٍ مقاصـــــده

دعـــني أمـــدُّ إليـــه حيـــث كـــان يـــدي

إن البيـــــان الـــــذي نســـــعى لنبلُغـــــه

هـــو البيـــان الـــذي يخلـــو مـــن الفَـــنَد

في الشـــرق قائلُـــه، في الغـــرب مُنشِـــده

فـــالمَيْز بينهمـــا مـــا دار في خلـــدي

يـــا إخـــوتي مرحبـــاً، فالـــدار داركـــمُ

والأهـــل أهلُكُـــمُ، بـــالعز والحَفَـــد

عمـــان تحظـــى بكـــمْ والكـــلُّ منتظـــرٌ

أن يلتقـــي بكُـــمُ في ســـائر البلـــد[2]

(١) يقصد به الأدب الإسلامي.

(٢) افتتح المؤتمر في عمان ثم عقدت جلساته في عدة مدن أردنية، هي إربد، جامعة آل البيت، معان، جامعة الحسين بن طلال، العقبة. وهو أول مؤتمر – فيما أعلم– تعقد جلساته في عدة مدن من البلد الواحد.

الثلاثية الثانية

في البيت العتيق

مدخل

في يوم الخميس الثاني من شهر ذي الحجة من عام ١٤٣٠هـ، الموافق للتاسع عشر من شهر تشرين الثاني من عام ٢٠٠٩م، توجّهتُ إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج. وقد علم بذلك أخي وصديقي الشاعر الكبير، الدكتور حسن الأمراني، من المغرب الشقيق، ويعمل في جامعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، فأرسل لي- في يوم عرفة- رسالة قصيرة على الهاتف قال فيها:

يــا مــن غــدا ببحــار النــور يغتســل

وقلبــه حَــوْلَ بيــتِ الله يبتهــل

فأجبته برسالة قصيرة على الهاتف –أيضاً- في ثلاثة أبيات، قلت فيها:

يــا مَــنْ همــى دمعــه إذْ شــفَّه الأَمَــلُ

لــمّا غــدا حــول بيــت الله يبتهــل

أَهْــلُ الشــفاعة عِنْــد الله شــأنهمُ

بإذنــه شَــفَعوا يــا طِيــبَ مــا ســألوا

رَجَــوْتُهمْ أنْ يَضــمّوني لمجلســهمْ

في واحــة القُــرْبِ عــلّ الــروح تكتحــل

ثـم إذا هـو يتصـل بي، عـبر الهـاتف، يقـول: إن الأبيـات أثـارت وجدانـه، وحرّكت مشاعره، وأنـه سـيقول قصـيدة مـن وحـي المناسـبة، فقلـت لـه: إذن، أعارض قصيدتك إن شاء الله، ونسمي هذه القصائد «في البيت العتيق».

وعندما عدت إلى عمان- الأردن العزيز- سرعان ما أرسل إليّ وللشاعرة نبيلة الخطيب عبر البريد الإلكتروني، قصيدة رائعة، مطلعها:

هـل يسـعف الـروحَ مـا يـوحى بـه الأمـل
أم يـدركُ الـنفسَ دون المبتغـى الأجـل

وبي مـن الشـوق مـا لـو شـامه جبـل
لانهـدّ ممـا يلاقـى ذلـك الجبـل

في البيت العتيق

حسن الأمراني

هــل يسـعف الــروحَ مـا يـوحي بـه الأمــلُ؟
أم يـــدركُ الــنفسَ دون المبتغـــى الأجـــلُ؟

وبـي مــن الشــوق مـا لــو سـامه جبـلٌ
لا نهـــدّ ممّـــا يلاقـــي ذلـــك الجبـــلُ

إنّـــي لأفـــتحُ عـــيني حـــينَ أفتحهـــا
فـــلا أرى غيْـــر رَكْـــبٍ راح يرتحـــلُ

ولـــيس عنـــدي جنـــاحٌ كـــي يُـــبلغني
دارَ الحبيـــب، وظهـــري لـــيس يحتمـــلُ

آه مـــن الـــدمْع محبوســـاً لـــه حُـــرَقٌ
شـــحّتْ عيـــوني، ودمـــع القلـــب منهمـــلُ

يـــا ويـــح نفســـيَ إنّ الـــذّنْبَ قيّـــدها
ولـــو ســـوى الـــذّنْبِ هانـــت دونِـــيَ الحيَـــلُ

يـــا مـــن غـــدا ببحـــار النـــور يغتســـل
وقلبـــه حـــول بيـــت الله يبتهـــلُ

بَلِّـــغْ ســـــلامي إلى المحبـــوبِ إنّ دمــــي
قــد كــادَ مــن وَقْــدَةِ الأشــواقِ يشــتعل

يــــا مُحْرِمـــــاً عرفـــــاتِ الله أفئـــــدةٌ
ترْنــــــو إلى الله، والأجســــــادُ تحتفــــــلُ

الشــــوقُ ســـــرْبَلها والـــــدمْعُ بلّلـــــها
كأنهـــا مـــن تـــراب العِشْـــق تكتحـــلُ

تســـعى إلى الله شَـــوقاً وَهْـــيَ ضـــارعةٌ
ومـــــا لغــــير نـــــداء الله تمتثـــــلُ

تَلَفَّتَـــــتْ نَحْـــوَ عَفْـــو الله مشـــرعةً
لهـــا الســـبيلَ، إذا مـــا سُـــدّت السُّـــبلُ

إذا تنزّلـــــت الخيْـــــراتُ مســـــرعةً
مِـــنْ عِنْـــدِ ربّـــك لم تُبْطـــئ بهـــا عِلَـــلُ

وفضـــلُ ربّـــك موصـــولٌ بـــلا سَـــبَبٍ
ورحَمـــــةُ الله بالإحســـــان تتّصِـــــل

يـــا صـــاحبي ودمُـــوعُ العَـــيْنِ تَسْـــبقني
ولـــيس عَـــنْ زورة المحبـــوب لـــي شُـــغُلُ

هيّجْــتَ شــوقي وهــلْ للشّــوق أجنحــةٌ

بهــا إلى حَضْــرة المحبــوب أنتقِــلُ؟

إذا نســيمٌ مــن البيــتِ العتيــقِ سَــرى

أرســلتُ دمعــاً، فــلا كِبْــرٌ ولا خَجَــلُ

إنّ الجمــالَ، جمــالَ اللهِ، ألمحــهُ

في سَــجْدةٍ تمــنحُ العُشّــاقَ مــا ســألوا

إنّ الجــلالَ، جــلالَ اللهِ، أُبصــرهُ

في دمعــةٍ مُــرّةٍ يَسْــري بهــا الوَجَــلُ

يــا حــاديَ الــروح، خُــذْني نحــو خَيْمــتهمْ

فالقلــبُ في حَضْــرة المحبــوبِ معتقــلُ

نَســيتُ عِنْــدهمُ قلــبي، ودونهــمُ

مفــاوزٌ، وحجــابُ الليْــل مُنْسَــدلُ

خُــذني إلــيهمْ، فَمــا أبغــي بِهِــمْ بَــدَلاً

وكيْــفَ يــنهض عمّــنْ شــاقني بــدلُ؟

إنْ يرْحلــوا فلقــدْ أضْــنَيْتُ راحلــتي

(أو ينزِلــونَ فإنّــا مَعْشــرٌ نُــزُلُ)

ســـــيّرْتُ أشْـــــرِعَتي في بَحْـــــر حُــــبّهِمُ

إنّ المحبّـــــةَ قـــــدْ أوصـــــى بهـــا الرّسُــــلُ

يـــــا قُبْلــــــةً عنــــدَ بَيْـــــتِ اللهِ فاغِمَـــــةً

طيبـــاً، لقـــدْ ذَبُلَـــتْ مـــن دونـــك القُبَـــلُ

لقـــدْ شـــفَتْ كبـــدي مـــنْ حـــرّ وقـــدتها

بعْـــد الشـــرابِ وطـــاب النّهْـــلُ والعَلَـــلُ

يـــا طِيبـــهُ حَجَـــراً قـــدْ كـــان لامَسَـــهُ

ثغْـــر الحبيـــبِ، فيـــا طـــوبى لمـــن نهلـــوا

صـــحوْتُ بالسّـــكْرِ وانْهلَّـــتْ علـــى شـــفتي

مـــدامعٌ ذاب فيهـــا الحـــزنُ والجـــذلُ

في البيت العتيق

سعدت بهذه القصيدة، وقرأتها عدة مرات، وحاولت أن أعارضها- بالمعنى الأدبي للمعارضة- وبعد عودتى من الحج، وقراءة القصيدة مرات عديدة، كانت هذه القصيدة التي أرسلتها إلى أختنا الشاعرة الكبيرة نبيلة الخطيب لتقول.. قصيدتها على الروى والقافية نفسها، لتكتمل دائرة الثلاثية:

في البيت العتيق

رفقـــاً بِعَيْنَيْـــكَ منهـــا الـــدمعُ ينهمـــلُ
لّمـــا أناخـــتْ ببـــابِ الكعبـــةِ الإبِـــلُ

فـــالنفس هائمـــةٌ والقلـــب طـــاف بهـــا
واحَـــــرَّ قلبِـــكَ ملـــهوفٌ ومنفعـــل

هـــا أنـــتَ ذا في فنـــاء البَيْـــتِ تَلْمســـه
تـــذوبُ في قربـــه وَجْـــداً وتشـــتعل

لبّيـــكَ يـــا رَبُّ كـــان الحـــجّ لـــي أمـــلاً
وقـــد تحقّـــقَ لـــي مِـــنْ فَضْـــلك الأَمَـــلُ

* * *

مـــاذا وقـــوفي أمـــام البيـــت أرمقُـــهُ
والنـــاسُ حـــوليَ بـــالتطواف قـــد شُـــغِلوا

يطوّفـــــونَ وفي الوُجْـــــدان ســــؤلهُمُ

واللهُ أَسْـــأَلَهُمْ مِـــنْ قبـــل مـــا ســـألوا

أنـــا القريـــب، قريـــبٌ مِـــنْ نفوســـهُمُ

فليســـتجيبوا فعنـــدى النّهْـــلُ والعَلَـــلُ

مـــاذا وقـــوفي مشـــدوهاً أراقـــبهُمْ

والنـــاسُ كـــالموج ضـــاقت عـــنهم السّـــبُلُ

ألقيـــتُ نفســـيَ في بحـــر الطـــواف وقـــد

وَجَـــدْتُ نفســـي بِـــدَفْعِ المـــوْجِ أنتقـــل

يـــا ربّ جئتـــكَ مكروبـــاً ومعتـــذراً

علّـــي بِطُهْـــر دُعـــاءِ الخلـــق أَغْتَسِـــلُ

آمـين يـا رب، هَـبْ لـي كُـلَّ مـا طلبـوا

طمعـــت في الفضـــل حتـــى شـــاقني النّفَـــلُ

جـــاءوك مـــن كُـــلّ فَـــجّ يحملـــون هـــوى

فهـــمْ ضُـــيوفُك مـــا حلّـــوا ومـــا ارتحلـــوا

لـــئِنْ تَرَحّـــلَ أقـــوامٌ لغـــايتهمْ

لا يرحلـــون، فقلـــب الصـــبّ معتقـــل

حلّـــوا ببيتـــك لا يبغـــون عنـــه قِلـــىً

فلـــيس عـــن جـــيرة الـــرحمن مُعْتَـــزَلُ

عـــن جـــيرة الله لم يطّلَّبـــوا حِـــوَلاً

ولـــيس عنـــدهمُ عَطْـــفٌ ولا بَـــدَلُ

حاشـــا لعفـــوك أضـــيافٌ ولـــيس قـــرىً

يســـتغفرونك مـــا ضـــلّوا ومـــا جهلـــوا

طـــافوا ببيتـــك، صَـــلّوا فيـــه، واسْـــتبقوا

إلى الحطـــــيم فَبَكّـــــاءٌ ومبتهـــــلُ

غَرِقْـــتُ في حُـــبّ رَبّ البيـــت أذكُـــرُه

والمـــوجُ يحملُـــني والقلـــبُ مُرْتَحِـــل

(إذا نســـيمٌ مـــن البيـــت العتيـــق سَـــرى)

هاجـــتْ بـــيَ الـــروحُ والأســـبابُ والعِلَـــل

بَيْـــتٌ عتيـــقٌ تَهُـــزّ الـــروح هَيْبَتُـــهُ

زانتـــه بـــالعِتْق تلـــكَ الأعْصُـــرُ الأُوَلُ

كَمَوْجَـــةٍ في جُمـــوع الخَلْـــق طُفْـــتُ بـــه

لله نفســـيَ مـــا تصـــبو ومـــا تَئِـــلُ

دَنَـــوْتُ للحَجَـــر الغـــالي أقبّلـــه
فَـــدَفّعوني، فمـــا أدنـــو ومـــا أَصِـــلُ

لكـــنْ نسـائمُ خـير الخلـق قـد غَمَـرَتْ
هـــذا المكـــان، فيـــا شـــوقاه: مـــا العمـــلُ

حَشَـــرْتُ نفســـيَ بـــين الخلـــق معتصَـــراً
وفـــاض وَجْـــدي وكـــان الوصـــلُ والوَجَـــلُ

وقفـــتُ موقفـــه، قبلْـــتُ مَبْسَـــمَه
والـــدمعُ تذرفُـــه مـــن وَجْـــدها المقـــل

والـــروحُ والقلـــبُ والأعطـــافُ راجفـــةٌ
والـــنفس تـــرقص نَشْـــوى هزّهـــا الجـــذل

يـــا لائمـــي في رســـول الله معـــذرةً
لـــو عِشْـــتُ ســـيرته مـــا كـــان ذا العَـــذَلُ

بـــل جِئـــتَ تســـعى بِـــودّ نحـــو خيمتـــه
يرقـــى بروحـــك فيـــه العِلـــمُ والعَمَـــل

الحُـــبُّ في شَـــرْعِهِ مِـــنْ فَـــيْضِ رحمتـــه
حُـــبّ بـــروح رســـول الله مُتَّصِـــل

حُـــبٌّ تَنــافَسَ فيـــه القـــومُ واســـتبقوا

وضـــاق عـــن شـــرحه التفصـــيل والجُمَـــلُ

قـــومي، وَحُـــبُّ رســـول الله مَـــذْهَبُهمْ

علـــى هُـــداه فـــلا ريـــب ولا زَلَـــل

جَعَلْـــتُ نفســـي وروحـــي في رِكـــابهمُ

(فلـــيس لـــي مَعْـــدِلٌ عـــنهم وإن عَـــدَلوا)

هـــمُ الأحبـــة لا يشـــقى جليســـهمُ

بـــقُرْبهمْ حيـــث حَـــلّ الركـــبُ أو رحلـــوا

إنْ يركبـــوا فمنـــالُ الـــرّوح مَـــرْكَبُهمْ

(أو ينزلـــون فإنّـــا مَعْشَـــرٌ نُـــزُلُ)

لّمـــا تَنَكَّبَـــتْ الأخـــلافُ ســـيرَتَهمْ

تلعّبـــتْ بِهـــمُ الأقـــوامُ والـــدّول

واســـتبدلوا الكفـــرَ بالإيمـــان وانزلقـــوا

في حمـــأة الطـــين لا خَـــوْفٌ ولا خَجَـــلُ

وأغرقـــوا النـــاس بـــالآراء مَصْـــدَرُها

مـــذاهبُ الزّيْـــفِ يُفتـــيهمْ بهـــا هُبَـــلُ

واحســــرتا لأنـــــاسٍ ضَـــــلَّ سَـــــعْيهمُ

وهُـــمْ يظنـــون أنّ الخَيَـــر مـــا فعلـــوا

وازّينـــــتْ لهـــــمُ الـــــدنيا بزخرفهـــــا

وغـــرّهم في هواهـــا الـــزور والخطـــل

تفرقـــوا فتهـــاوى النـــاس وانقســـموا

فشـــأنهمْ عنـــد كـــل النـــاس مبتـــذلُ

تفرقـــوا وتعـــادَوْا بعـــدُ واختصـــموا

فـــالقوم مُؤْتكِـــلٌ مـــنهم ومتّكِـــلُ

ولا ســـبيل إلى الخـــير الـــذي فقـــدوا

إلا الرجـــوعُ عـــن الشّـــر الـــذي نهلـــوا

إلا الرجـــوعُ إلى الحـــقّ الـــذي عَرَفـــوا

بـــه تنزّلـــتْ الأمـــلاكُ والرُّسُـــلُ

بـــه اســـتنارتْ قلـــوبُ الحـــقّ وانتصـــرتْ

شـــرائعُ الخـــير مـــا انصـــاعوا ومـــا احتملـــوا

عـــودوا إلى ضـــوء أنـــوار بـــذي ســـلم

فالشـــمل مكتمِـــلٌ فيهـــا ومعتَـــدِلُ

عــــودوا إلى القبـــة الخضـــراء واغترِفـــوا

فـــــالخير مكتنِـــــزٌ فيهـــــا ومُتّصـــــل

يــــا ســـيدي يــــا رســـول الله معـــذرةً

وقفـــت بالبـــاب يُضـــني نفســـيَ العَـــذَلُ

قَـــوْمي كـــرامٌ وإنْ نَـــدّتْ بهـــم هِنَـــةٌ

لكـــــن مَعْـــــدِنَهُمْ بـــــالخير معتمـــــل

المصـــــطفَوْنَ بحـــــبٍّ الله نبـــــعُ هـــــدى

مـــا إنْ تحقّـــقَ فينـــا القـــولُ والعمـــلُ

قـــومي ذووا الحـــق، والإيمـــانُ سُـــنَّتهمْ

(هـــمُ الأحبـــةُ إنْ جـــاروا وإن عَـــدَلوا)

هـــا هُـــمْ أولاء يطوفـــون الـــوداعَ وهـــمْ

يســـــتأخرون لهـــــم في طَـــــوْفِهِمْ نَهَـــــلُ

يـــدعونني لـــــوداع البيــــت محتســــبا

(وهـــل تطيـــق وداعـــاً أيهـــا الرجـــلُ)

هـــم الـــذين ببـــاب الله قـــد وقفـــوا

وشـــأنهمْ في الـــدّعاء الرّيـــث والمَهَـــلُ

يــا رب عفــوك مــا لــي عــن حمــاك غنــىً

لكـــنَ قـــوميَ شـــدّوا العـــيرَ وارتحلـــوا

هَـــلْ عـــودةٌ يـــا إلهـــي نحـــو بيـــتكمُ

تأتيـــه مســـرعة مـــن وجـــدها الإبـــلُ

في البيت العتيق

نبيلة الخطيب

.. واستلمتُ قصيدتيْ الدكتور عودة أبو عودة والدكتور حسن الأمراني لإتمام الثلاثية، ولكنْ كانتْ قصيدةٌ أخرى تشغل عليّ نفسي ووجداني، فتعذرتْ عليّ الكتابة، وطال الأمر.. وقد صبر عليّ صاحبا الشعر حتى صالحني الشعر وشُحِنتْ النفسُ وفاضَ الوجدان بهذه القصيدة التي بعد جفاف مضنٍ تدفقت على القلب كما الغيث بفضل الله تعالى:

يـــا غربـــة الـــروح إن لم يُســـعف الأمـــلُ

فـــالنفسُ تســـعى ومعقـــودٌ بهـــا الأجَـــلُ

يهزهـــا الشـــوق حتـــى وَيْكـــأنّ غـــدا

للعـــيش والمـــوت في أوصـــالها جَـــدَلُ

هـــاجَ الحـــنينُ حناياهـــا فمـــا وجَـــدَتْ

إلا مـــن الـــوَدْقِ ماسَـــحّته يَنسَـــجلُ

آهٍ مـــن الـــدمعِ لـــو تُجـــدي ســـواجمُه

لمـــا اســـتحالتْ علـــى اســـتحلالِه الحِيَـــلُ

أَنّـــى أُعلّـــلُ نفســـي والجـــوى عِلَـــلُ
ولـــيس للـــنفسِ عمّـــا شـــاقها حِـــوَلُ

ولا يلـــذُّ لهـــا في الـــبين مـــا عُمِـــرَتْ
مـــاضٍ مـــن العمـــر مشـــهودٌ ومقتبَـــلُ

تجلـــو النـــواظرَ نـــورُ البيـــت هيبتُـــه
إلى سَـــناهُ إذا هـــاجَ الـــدجى تَئِـــلُ

إخالهـــا الـــدهرَ مـــا قالـــت(*) ولا وهَنَـــتْ(**)
كأنمـــا السُّـــهدُ في عـــينيَّ يَتّصِـــلُ

أجاهـــدُ القـــولَ علّـــي أســـتعيرُ لـــه
وصـــفاً يُدانيـــه لكـــنْ ضـــافتْ الجُمَـــلُ

كـــلّ القصـــور إذا مـــا شُـــيِّدتْ دَرَسَـــتْ
وبيتُـــه آبـــدٌ مـــن عُمـــره الأزلُ

يُطـــوِّقُ الكعبـــةَ الغـــرّاءَ وُفَّـــدُها
وقـــد سَـــقَوْها دموعـــاً قـــدْرَ مـــا نهَلـــوا

(*) قالت: من القيلولة، وهي النّومُ نهاراً.

(**) وهنت: نامت في الليل.

كبؤبـؤ العـين قـد حـاطَ البيـاضُ بهـا

فـالمُحرِمونَ لهـمْ مـن زهوِهـا حُلَـلُ

يبكـونَ شـوقاً إذا حـانَ الـوداعُ كمـا

تبكـيهمُ فَهْـيَ بالحُجّـاجِ تنهمِـلُ

سُـعدى لـنفسٍ هنـا حلّـت جـدائلَها

وعِشـقُها بحبـال النـور يَنجَـدِلُ

الكـلّ مُلتـزِمٌ يهفـو لملتـزَمٍ

عنـد المقـام وللعُمّـار مـا سـألوا

نـاجى وأخلـصَ في النجـوى وفـاضَ بهـا

حتـى نجـا وَلَـئِنْ أوزارُه سُـدُلُ

بـينَ الطـواف وبـين الطـائفين مُنـىً

لـو فَيضُـها السيلُ مـا سُـدّتْ بـه السّـبُلُ

مَـن قطّعـوا الفلـوات الشاسـعات غـدت

لهـم قلـوبٌ علـى التّبيـان تَتّصـلُ

كأنمـا النـاسُ عُبّـادٌ ملائكـةٌ

فـلا مَـلالٌ يُـدانيهمْ ولا كَلَـلُ

كيـــف المـــآذنُ ترنـــو وهـــي خاشـــعةٌ؟!

كـــذا الســـجودُ مراقـــي الـــروح تحتفـــلُ

إنّ المُحِـــــبّ إذا بـــــانَ الزمـــــانُ بـــــه

بنـــى لنجدتـــه مـــا يَرتجـــي الأمَـــلُ

فتســـــتردّ عـــــروقُ القلـــــب صـــــبَوَتَها

حَتّـــى وإن جاشَـــــتْ الآلامُ والعِلَـــــلُ

ألا تـــرى القلـــبَ مُخضَـــرّاً بـــه طَـــرَبٌ

والنـــارُ في جَنَبـــات الصّـــدر تشـــتعلُ؟!

وكلمـــا سُـــعِّرَتْ في الجَـــوْفِ لاهبـــةً

فاضـــتْ عليهـــا تَـــوَقّى صَـــلْيَها المُقَـــلُ

يـــا لائمـــي وعـــذوقُ الـــروحِ ذاويـــة

لـو ذقـتَ مـا ذقـتُ مـا أغـراكَ بـي عَـذلُ

هـــل بـــتَّ ترتـــقُ في الأضـــلاع مُنكلِمـــاً؟

وكلّمـــا كـــفَّ جُـــرحٌ جـــادَه أسَـــلُ

فـــلا الـــدماءُ إذا كفكفتَهـــا رَقَـــأتْ

ولا الجـــراحُ إذا عالجْـــتَ تنـــدَمِلُ

في أرض كنعـــانَ والأقصـــى بـــه لَهَـــفٌ

وصِــيْدُها مَــن قضــى مــنهم ومُعتقَــلُ

هنــاكَ أهلــي وهــم صُــلْبُ النَّقــا هُزِلــوا

هنــاك قــومي وهــم قَيْــدُ التُّقــى قُتِلــوا

ومَــن تفــرّقَ في الأمصــار ضِــيقَ بــه

جَــلّاهُــمُ الــبينُ للأهــوالِ مُــذْ رَحَلــوا

فمَــن تَبَــدّلَ داراً دونَ موطِنِــه

أنّــى يطيــبُ لــه في عَيشِــه بَــدَلُ؟!

أعيــذُ صَــبرَكَ ممــا حــلَّ في كَبِــدي

أعيــذُ أمْنَــكَ مِــن يــومٍ لــه دوَلُ

صــارَ العِــراقُ عُروقــاً كلّهــا فُصِــدَتْ

وكلّمــا قــامَ فــيهم عاقــلٌ عَقَلــوا

ولا الســعيدُ ســعيداً بــاتَ في يَمَــنٍ

ولا يَســودُ علــى الســودانِ مَــن وَكَلــوا

في كــلّ ناحيــةٍ هَــمٌّ ولا هِمَــمٌ

أبعْــدَما شمــرّوا للمُرتقــى نزلــوا؟!

فـــنحنُ مَـــن تَمّـــمَ الأخـــلاقَ قائـــدُنا

فينـــا البيـــانُ ولكـــنْ قولُنـــا خَطَـــلُ

ومـــا تَـــوَلّى سَـــراةُ النـــاس أمـــرَهمُ

إلا الأكفّـــاءُ ضَـــلّوا، ضَـــلّلوا، خَـــذلوا

مـــا بـــالُ قـــومٍ أرادَ الله نُصـــرتَهم

لكـــنهم يـــومَ حَـــقَّ الوعـــدُ مـــا قَبِلـــوا؟!

توَحّـــدَتْ قِبلـــةٌ للمســـلمينَ فهـــل

باتـــت تُفـــرّقهم عـــن شـــرعهم نِحَـــلُ؟!

(في حَمـــأة الطـــين لا خـــوفٌ ولا خجـــلُ)

لا يغفُـــلُ الله لكـــنْ خَلْقُـــه غَفِلـــوا

النـــاسُ غرقـــى وغَـــوْثُ المســـتغيث دمٌ

غمـــامُهمْ غَمُّهُـــمْ مُستَرسِـــلٌ هَطِـــلُ

البغـــيُ في النـــاس بغـــيُ النـــاس أنفسِـــهِمْ

كـــم مـــارَ في الأرض، مـــاذا ضـــرّ لـــو عـــدلوا؟

إنّ الأكـــفّ الـــتي كانـــت مُصـــافحةً

أصـــحابُها أنكـــروا الأوشـــاجَ واقتتلـــوا

فعنـــــدما داهـــــمَ الإعصـــــارُ أفْقَهـــــمُ

تَخطَّـــفَ الرُشْـــدَ والأبصـــار إذْ ذهلـــوا

ألا تـــرى الغُصـــنَ، إنْ هبّـــتْ مُشَـــعَّثَةٌ،

يُعـــانقُ الغصـــنَ تحمـــي بعضَـــها الخُصَـــلُ

وإنْ تَجِـــفَّ عـــروقُ الـــزرعِ لـــيسً ســـوى

جـــزٍّ المناجـــلِ يرجـــو ضَـــمَّهُ السَّـــبَلُ

رحـــى الطـــواحين إن دارتْ بهـــم طَحَنـــتْ

لا تعـــرفُ الحـــربُ مَـــن ضـــلّوا ومَـــن عقُلـــوا

يـــا مَـــن تَبَتّـــلَ في بـــاب الســـلام ضُـــحىً

إنَّ الســـــلامَ الـــــذي في الأرضِ مُبتـــــذَلُ

عُتبـــى لمـــن حَمَـــدَ الـــرحمن ســـيرَته

وبشَّـــــرَتْ بـــــسَنا آياتِـــــه الرسُـــــلُ

لـــو كـــان للقلـــب أقـــدامٌ لفـــزَّ بهـــا

مـــا عاقـــه عنـــكَ.. لا وَهْـــدٌ ولا جَبَـــلُ

شُـــدَّ العِنـــانُ وأدمـــتْ وجهَـــهُ لُجُـــمٌ

فبـــاتَ عـــن صَـــدْرِ ذا المَصـــدورِ ينفصِـــلُ

فالقلـــــبُ عنـــــدك والأعضـــــاءُ عـــــاثرةٌ
حَـــــيٌّ بوَصْـــــلكَ والأوصـــــالُ لا تصِـــــلُ

أريـــــدُ أذرف دمعـــــاً عنـــــدَ حُجرتِـــــه
لعـــــلَ يشـــــفعُ لـــــي تقصـــــيريَ السّـــــبَلُ

(لـــــئن تَرَحّـــــلَ أقـــــوامٌ لغـــــايتهم)
فغـــــايتي «هـــــوَ»، بَثُّـــــي طـــــافحٌ جَلَـــــلُ

فمَـــــن تَعلّـــــقَ بالأســـــتار في ضَـــــرَعٍ
وقـــــال يـــــا ربّ.. زالَ الهـــــمّ والثِّقَـــــلُ

فلـــــيسَ للخطـــــبِ إن حَكّمتَـــــهُ حُلَـــــكٌ
ولـــــيسَ للخطـــــوِ إمّـــــا زرتَـــــه زَلَـــــلُ

وكـــــلّ كـــــربٍ إذا اســـــتفرجَتهُ فـــــرَجٌ
وكـــــلُّ جَـــــدبٍ إذا استســـــقيتَهُ خَضِـــــلُ

يفـــــرُّ روحٌ فيلقـــــى فيـــــه مأمنَـــــه
تقـــــرّ عـــــينٌ بـــــذاك النـــــور تكتحـــــلُ

يـــــرفّ مثـــــل حمـــــام البيـــــت مختفقـــــاً
قلـــــبٌ تَضَـــــلّع حتـــــى غيضـــــت الغُلَـــــلُ

مـــا ضـــلَّ مَـــن ظـــلّ في أفيـــاء رحمتِـــه

للمُســـتجير وإن قـــاظَ الضـــحى ظُلَـــلُ

(حاشـــى لفضـــلك أضـــيافٌ ولـــيس قِـــرىً)

قِـــراهُمُ العفـــوُ يمحـــو كـــلَّ مـــا فعلـــوا

لبيـــك لبيـــك مـــا لبـــى الحجـــيجُ بهـــا

لبيـــك لبيـــك مـــا حَلّـــوا ومـــا ارتحلـــوا

لبيـــكَ مَـــدَّ رحـــابِ الـــدهر مـــا اتّسَـــعتْ

لبيـــكَ فـــوقَ الـــذي لبّـــوْا ومـــا بـــذلوا

فلـــيس لـــي غـــير بـــاب الله أطرقـــه

وغـــــير بابــــك يــــا ألله منقفــــلُ

أنت الآن في الكرك

قصيدة مهداة إلى مدينة الكرك بمناسبة اختيارها مدينة الثقافة الأردنية لعام ٢٠٠٩م. وبمناسبة زيارة رابطة الأدب الإسلامي لها في ذلك العام.

أطلـــقْ لســـانَك قـــولاً غـــير مُرتَبِـــكِ

وافـــردْ جناحَـــك أَنـــتَ الآن في الكـــرك

في أهـــل مؤتـــةَ عِنْـــدَ المجـــد منـــزلُهُمْ

زَكَـــتْ أَصـــولُهُمُ والفـــرعُ جِـــدُّ زكـــي

مـــا زال زيـــدٌ يقـــودُ الجـــيشَ منتصـــراً

علـــى الغُـــزاةِ مثـــالَ القائـــد العَـــرِكِ

يسّـــمّعون صـــليلَ السّـــيف في جَـــدَلٍ

ويمنعـــونَ ذِمـــارَ الضّـــيفِ في الحُلَـــكِ

وَجَعْفَـــرٌ مثـــلُ عبـــدِ اللهِ إذْ رَسَـــمَوا

نهجـــاً لقادتنـــا في كُـــلّ مُعْتَـــرَكِ

هـــا نحـــنُ في مؤْتـــةَ الغـــراءِ ثانيـــةً

أَبناؤُهـــا في طِـــلابِ العِلْـــمِ كالمَسَـــكِ

مــن كــل أَشْــوَسَ لا يَرْضــى لِمَطْمَحِــهِ

حـــدّاً ســـوى ذِروة الجَـــوزاء والفَلَـــكِ

هـــا نحـــن في الكَـــرَكِ الشّـــماءِ قَلْعَتُهـــا

عنـــوانُ مَجْـــدٍ سمـــا عـــنْ أيّمـــا دَرَكِ

تلقـــاءَ مَـــدْيَنَ وجّهْنـــا ركائِبَنَـــا

نَسْـــقي القلـــوبَ مِيـــاهَ الطُّهْـــرِ والبَـــرَكِ

مِـــنْ مـــاءِ مَـــدْيَنَ روّ الـــنفسَ ظامئـــةً

مـــن عـــين موســـى، مِـــنَ الـــبتراءِ والشَّـــبَكِ

هـــذي بـــلادٌ كتـــابُ الله باركهـــا

عَـــزّتْ سِـــيادَتُها عـــن كُـــلِّ مُنْتَهَـــكِ

تَطَهَّـــرَتْ أرضُـــها بالفـــاتحين علـــى

مَـــرّ الزمـــان فأضـــحى حُبّهُـــا نُسُـــكي

جِئْنـــا إلى الكَـــرَكِ العُلْيـــا نُبادلُهـــا

هـــلّا مَـــدَدْتِ لنـــا مـــن شـــأنِنا يَـــدَكِ

فَـــأَطْلِقوا القـــولَ حُـــرّاً صـــادِقاً جَـــزِلاً

وهَنِئُـــوا الـــنّفْسَ نحـــن الآن في الكـــرك

١٩/١٠/٢٠٠٩م

الثلاثية الثالثة

(من ماء زمزم)

د. عودة أبو عودة
جامعة العلوم الإسلامية العالمية/الأردن

في موسم الحج في العام الهجري ١٤٣٢هـ، الذي وافق نهاية شهر تشرين الأول وبداية شهر تشرين الثاني من عام ٢٠١١م، شرفني الله عز وجل بأداء فريضة الحج. وفي يوم السبت الواقع في التاسع من شهر ذي الحجة، ١٤٣٢هـ، الموافق للخامس من شهر تشرين الثاني ٢٠١١م، كانت وقفة عرفات، أجلّ أيام السنة وأعظمها أجراً عند الله، وفي هذا اليوم الفضيل أرسلت عبر الهاتف الخلوي رسالة إلى صديقيَّ الكريمين، الشاعر الكبير، الأديب الناقد، الدكتور حسن الأمراني أستاذ النقد الأدبي في جامعة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة، والسيدة الفاضلة نبيلة الخطيب رئيسة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في الأردن، -شاعرة العرب الأولى- وهذا لقب أطلقته عليها مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين/ الكويت، لفوزها بالجائزة الأولى في مسابقة الشعر العربي مرتين، في عامي ٢٠٠١م، ٢٠٠٨م.

في تلك الرسالة كتبت إلى كل منهما بيتاً واحداً من الشعر قلت فيه:

مـــاذا وقوفكمـــا في البـــان والعلـــم

والنـــاس مـــن كـــل فـــج في ذرى الحـــرم

وفي أقل من ساعة، أرسل إليَّ الأخ الكبير الدكتور حسن الأمراني رداً في بيت واحد من الشعر، قال فيه:

اهنـــأ بزورتـــه يـــا زائـــر الحـــرم
وانشـقْ نسـيم الرضـا مـن بـارئ النّسـم

وبعد فترة وجيزة أَرْسَلَتْ إليّ السّيدة نبيلة الخطيب ثلاثة أبيات قالت فيها:

ومـــا ارتحالـــك فـــرداً قاصـــد الحـــرم
وصـــاحباك علـــى شـــوق كمـــا الضّـــرم

أمَـــا تَواعَـــدَتْ الأرواحُ ذات ضـــحى
علـــى الوفـــاء بعهـــد غـــير منفصـــم

عهـــد زَرَعْنـــاه فاخضـــرّتْ جوانحنـــا
قـــد خُـــطّ بالـــدمع لا بـــالحبر والقلـــم

فاقترحت عليها أن تكون هذه الأبيات مطالع ثلاث قصائد نكوّن منها الثلاثية الثالثة معاً، بعد ثلاثيتي: (أقرئه عنى الجوى) وثلاثية (في البيت العتيق)، وقد كان.

من ماء زمزم

من شعر الدكتور عودة أبو عودة

جامعة العلوم الإسلاميّة العالمية

كتبت في أيام موسم الحج في عام ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م

مـــــاذا وقوفكمـــــا في البـــــان والعلـــــم

والنـــاس مـــن كـــل فَـــجٍّ في دُرى الحـــرم

يـــا صـــاحبيّ، وإنـــي وامِـــق دَنِـــفٌ

وأنتمـــا في فـــؤادي أرفـــعُ القِمَـــم

وَدِدْتُ لـــو أنتمـــا في السَّـــفْر في كَنَفـــي

يـــا صـــاحبيْ أملـــي يـــا صـــاحبي ألمـــي

نـــادى المـــؤذّنُ في الحجّـــاج فـــاجتمعوا

وكعبـــةُ الله تـــدعو الخلْـــقَ مـــن أَمَـــم

يطوّفـــــون وعـــــين الله تـــــرقبهم

«مـــا بـــين مســـتلمٍ مـــنهم وملتـــزم»

يَـــدْعون في أمـــل، يبكـــون في وَجَـــلٍ

واحـــرّ قلبـــاه بـــين الوَجْـــد والنـــدم

أصـــغيتُ أفهـــمُ شـــيئاً لكـــن التبســـتْ

علــــيّ ألْسِـــــنَةٌ للعُـــــرْبِ والعَجَـــــم

كــــلٌّ يُسَـــــبّحُ: ألـــــوانٌ وأدعيـــــةٌ

مـــن آيـــه اخـــتلافُ اللـــون والكَلِـــم

(الله)(الله) تعلــــــو كُــــــلَّ دَعــــــوْتِهِمْ

تَـــرَدَّدَ القـــولُ فيهـــا مِـــنْ فـــمٍ لفـــم

الله نـــــــــــــاداهمُ والله جَمّعَهُـــــــــــــمْ

فَوَحْـــدَهُ (الله) رَبُّ العَـــرش والنَّســـم

الأولُ (الله)، عهــــــداً غـــــيرَ مبتـــــدأٍ

والآخِـــرُ (الله) عهـــداً غَيْـــرَ مُخْتَـــتم

الله يعلـــــمُ مــــاذا يهتفـــــون بـــــه

ولـــــيس سِــــرُّهُمُ عنـــــه بمنكَــــتِمِ

لـــو اطّلعـــتَ علـــى أســـرار أنفسِـــهِمْ

«مزجـتَ دمعـاً جـرى مـن مقلـةٍ بـدم»

جـاءوا... وطـافوا... بـأفواج تمـوج بهـمْ

تســـيل أمـــواجُهمْ كالعـــارضِ العَـــرِمِ

هـــديرُ أصـــواتهمْ ذِكْـــرٌ تفـــيضُ بـــه

أرواحُهـــمْ أَمَـــلاً بـــالعفو والـــرَّفم

مَـــنْ ذا يراجـــعُ أفعـــالاً لهـــم سَـــبَقَتْ

ومَـــنْ يحاســـبُ كُـــلَّ الخلْـــق والأُمَـــم

كفـــى بربـــك يُحصـــي كـــلَّ مـــا فعلـــت

أناســـمُ الخلْـــقِ فاهنـــأْ ثَـــمّ والتـــزم

قـــل حســـبي الله، والْـــزَمْ دَرْبَ طاعتـــه

وطُـــفْ بكعبـــة رَبِّ الخلـــق واسْـــتَلِم

أُمُّ القُـــــرى مكـــــةٌ، والله حرّمهـــــا

فَكُـــــلُّ أيامهـــــا كالأشـــــهر الحُـــــرُمِ

(مـــا حَوْلهـــا) دَوَرانُ الكـــون مُنْتظَمِـــا

إذا نظَـــرْتَ إليـــه مِـــنْ عَـــلٍ تَهِـــم

مـــاذا الطّـــوافُ؟ ومـــا الأســـرارُ كامنـــةٌ؟

عَرَفْـــتَ قَـــدْرِكَ أم مـــا زِلْـــتَ عنـــه عَـــمٍ؟

الطـــائفون علـــى مَـــرّ الـــدهور وهـــمْ

يَسَّـــمَّعون دُعـــاءَ الكـــون والنَّسَـــم

والســـابحون مـــع الأبـــراج في فَلَـــكٍ

والعـــاكفون بحـــب الله في الخِـــيم

هــل (طهّــرا بــيتي) المقصــودَ، قــد فَصَــلَتْ

بحكمـــة الله بـــين النـــور والظُّلَـــمِ

وانظــرْ إلى (اليــاء) في (بــيتي) ومــا حَمَلــتْ

مــن لَمْسَــةِ الحــب أو مــن همســة الــرَّحِمِ

خُـــذْني لبيتـــكَ طوّافـــاً ومعتكفـــا

واجعـــلْ بـــذكرك قلـــبي ناطقـــاً وفمـــي

قُـــمْ في المقـــام وصـــل الـــركعتين وسِـــرْ

علـــى طريـــق خليـــل الله مـــن قِـــدَمِ

إذ يرفـــع البيـــت مـــن أدنـــى قواعـــده

وإبنُـــه مَعَـــهُ، أكـــرمْ بـــمُسْتَهِمِ

مِـــنْ مـــاء زَمْـــزَمَ سَـــمّ الله مـــدّكراً

هَـــمّ الـــتي فتئَـــتْ تســـعى علـــى قَـــدَم

كانـــتْ تُهـــرولُ بـــين الصـــخرتين عســـى

تنـــالُ قطـــرةَ مـــاءٍ للصّـــغير ظَمـــي

حبـــا ليتبعهـــا إذْ خـــافَ غَيْبَتَهـــا

وصـــاح في أدمـــع حـــرّى مـــن الســـقم

تَفَحَّصَـــــتْ قـــدماه الأرض مرتعشـــاً

فانشـــقت الأرضُ عَـــنْ فـــيضٍ مـــن السَّـــجَمِ

عـــادتْ فـــإذْ جَرَيـــان المـــاء يَغْمُـــرُه

يـــا عَـــيْنُ زِمّـــي وزِمّـــي ثـــمَّ وانتظمـــي

فالنـــاس يَسْـــعَوْنَ تخليـــداً لـــذكرهما

وَزَمْـــزَمٌ فيـــه سِـــرٌّ غـــيرُ مُنْحسِـــمِ

يَسْـــعَوْن بـــين الصـــفا والمـــروة، انطلقـــوا

بحـــراً مـــن الخَلْـــقِ أَمْ سَـــيْلاً مـــن الـــدّيم

ثـــم انثنـــوْا إلى عَرَفـــات الله يملـــؤهم

فَـــيْضٌ مـــن الأمـــل الموعـــود بـــالكرم

يـــوم علـــى عرفـــات الخـــير كـــان لهـــم

فَضْـــلٌ مـــن الله في عفـــو عـــن الوَصَـــم

جـــاء الحجـــيج إليـــه يـــوم وقفـــتهمْ

فاضـــت دمـــوعهمُ مـــن حَســـرة النَّـــدم

وأخلصـــوا فيـــه للـــرحمن دَعْـــوتهمْ

فخصَّـــهمْ فيـــه بـــالغفران والـــنّعَمِ

يـــومٌ تشـــابه فيـــه النـــاسُ كلـــهمُ

فـــلا تمـــايز في الأحســـاب والحَشَـــم

جـــاء الملـــوك بـــلا رَكْـــبٍ ولا حَـــرَسٍ

لا الثـــوبُ خَـــزٌّ ولا اليـــاقوتُ في العِصَـــمِ

كُـــلٌ سواســـيةٌ في موقـــف جَلـــلٍ

والجَمْـــعُ في حضـــرة الـــرحمن في سَـــدَم

قـــال اشـــهدوا يـــا عبـــادي قـــد غفـــرت لهـــم

فَهُـــمْ ضـــيوفيَ في (بـــيتي) وفي حرمـــي

عـــادت صـــحائفُهمْ بيضـــاءَ صـــافيةً

عهـــدٌ عليـــكَ فَـــوَفّ العهـــد واعتصـــم

وفي المســـاء أفاضـــوا نحـــو مزْدَلِـــفٍ

كأنمـــا ازدلفـــوا للخـــير مـــن أَمَـــم

وفي صـــباح مِنـــىً شُـــدَّت رواحِلُهُـــمْ

نحـــو الجمـــار لترمـــي الشـــرَّ والظُّلَـــم

ضَــحّوا وفاضــوا إلى البيــت العتيــق ضُــحى

واسْتَمْسَــكوا بتمــام العهــد والــذِّمَم

أيــامُ أكــلٍ وشُــرب في صــعيدِ مِنــىً

عنوانُهــا نَسَــمات الــوُدِّ والــرُّحَم

مــاذا علــيهمْ إذا طابَــتْ نفوســهُمُ

وبــان سَــعْدُهُمُ في حســن مُبْتَسَــمِ

هــا هــمْ يموجــون في شَــتّى جمــوعِهُمُ

كــأنهمْ صــورةٌ مِــنْ مَحْشَــر الأُمَــم

مــنهمْ تعجّــل في يــومين واختتمــوا

ومــنهمُ زاد يومــاً دونمــا أَثَــم

وكلــهمْ عــاد للبيــت الحــرام لكــي

يُودّعــوا البيــت بــين الشــوق والألم

يــدعونني لــوداع البيــت محتســباً

فالقلــب في ألم والعــين في سَــجَم

كفكــفْ دموعَــكَ إن الرّكْــبَ مُرتحــل

إلى المدينــة مَهْــدِ الســادة القُــدُمِ

أنصـــار ديـــن رســـول الله مـــا فَتئـــوا

يُمَسِّـــكون بعهـــدِ الصـــادق العَلَـــم

صَـــلَّيْتُ أتلـــو (ألم نشـــرح) بـــرَوْضَته

فاليســـر في نورهـــا يَشْـــفي مـــن السَّـــقم

وقفـــتُ أرنـــو إلى نـــورِ المقـــام وفي

جـــوانحِ القلـــب تَسْـــري ســـورةُ القلـــم

لـــديَّ يـــا ســـيدي عهـــد أُبلَغـــه

مـــا زلـــتُ أحملـــه مِـــنْ صاحَبـــيْ قلمـــي

(أقرئـــه عنّـــى الجـــوى) مـــن ذَوْبِ وَجْـــدِهُمُ

عشـــقٌ مـــن القلـــب لا سَـــطْرٌ مـــن الكلـــم

يـــا ســـيدي يـــا رســـول الله معـــذرةً

إنْ كـــان في قولنـــا شـــيءٌ مـــن العَشَـــم

حـــادتْ عـــن السُّـــنة الغـــراء أمتنـــا

حتّـــى غـــدونا لَقَـــىً في آخـــر الأُمَـــم

يـــا ســـيدي ليتنـــا نـــدعو بـــسُنَّتِكُمْ

فـــيحفظُ العهـــد مـــأموم بـــمؤْتَمَم

تركــت فينــا هــدى في الــدين مــا فتئــت

أنـــــوارُه تزدهـــــي بـــــالعز والشَّــــمَم

لكننــــا لم نكـــــنْ أهـــــلاً لقامتـــــه

فقـــد أُصـــبنا مــــن الآثـــام بالبَشَـــم

حـــادتْ مناهجُنـــا عـــن نـــور سُـــنَّتنا

فـــالقومُ في شُـــغُلٍ بالبـــاه والغَلَـــم

اســـتبدلوا الزيـــفَ والأوهـــامَ في بَكَـــمٍ

بـــالعلم والفكـــر والتجريـــب والحِكَـــم

أُجـــلُّ قَـــدْرَكَ أن أُفْضـــي بـــسِيرتهمْ

لـــولا يقـــيني بفضـــل الفتيـــة الحُسُـــم

إنْ أخطـــأوا فَلِعَفْـــوِ الله قـــد لجـــأوا

أعْفـــاهُمُ مـــن كـــبير الـــذنب واللمـــم

لـــو أنهـــمْ لزمـــوا منهـــاج خـــالِقهمْ

لَصـــار واحـــدُهمْ كالفـــارس الـــبُهَم

فـــنحن قـــومٌ لنـــا في إرثنـــا شمـــم

فـــلا نُطيـــق حيـــاة الـــذل والـــوَخَم

وســــوف يـــا ســــيدي نســــمو بطاقتنــــا

والله يَقْبَـــــل منــــا توبــــةَ النَّــــدَم

عســـى يكـــونُ لنـــا في عمرنـــا أمـــلٌ

بـــأن نَشُـــدَّ رحـــالَ الخيـــل واللُجُـــم

لكـــي نُصـــلّيَ في (الأقصـــى) فـــآن لنـــا

أنْ نَصْـــنَعَ المجـــدَ مـــع فتياننـــا الحُسُـــم

شُـــدوا الرّحـــال لأولى القبلـــتين فقـــد

عانـــت طـــويلاً بمكـــر الأمـــة القَـــزَم

مـــا كـــان نصـــرُهُمْ لـــولا تخلُّفُنـــا

فالنّصـــر نَصْـــنَعُهُ بـــالعلم والقُـــدُم

عـــزٌّ العروبـــة بـــابٌ لـــيس يفتحـــه

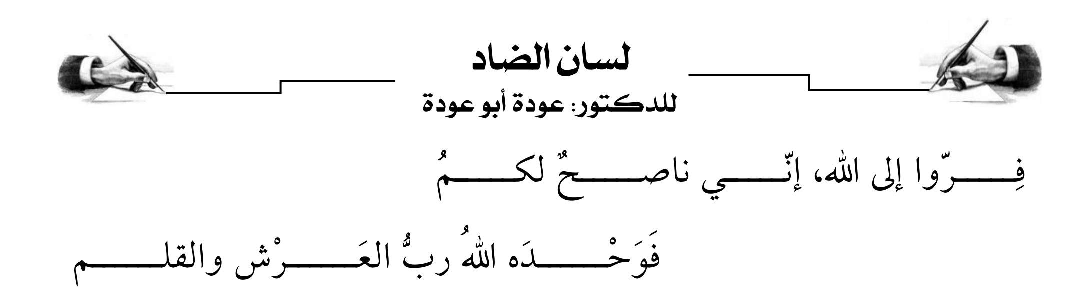
إلاّ الأماجـــدُ مـــن أبنائهـــا القُـــثُم

ســـلاحُهُمْ نَصْـــرهُمْ لِلّـــه أَوَّلُـــه

ووحـــدةُ الأمـــة الشـــمّاء بالقَسَـــم

إن تَنْصُـــروا الله ينصـــرْكُمْ فـــإنَّ بـــه

عنـــد الجهـــاد ثبـــاتَ القلـــب والقـــدم



فِـــــرّوا إلى الله، إنّـــــي ناصـــــحٌ لكـــــمُ

فَوَحْـــــدَه اللهُ ربُّ العَـــــرْش والقلـــــم

د. عودة أبو عودة

قَلوصُك الدّمعُ

شعر: حسن الأمراني

أرســـلْ قلوصَـــك تبلـــغْ منتهـــى السَّـــلَم

ومـــا قلوصُـــك غـــيرُ الـــدّمع في الظُلَـــمِ

لَكَـــــمْ أُراودُ حرفـــــا مـــــا يطـــــاوعني

مـــاذا أخـــط ولا لـــوحي ولا قلمـــي؟

مـــاذا أخـــط! وفي الوجـــدان عاصـــفةٌ

لوّاحـــةٌ، ويـــدي مغلولَـــةٌ وفمـــي؟

تقـــول قانتـــةً والـــدمْع يســـبقها

شـــوقاً إلى ســـاح خـــير الخلـــق كلّهـــم

«يـــا ليـــت قلـــبيَ قرطـــاسٌ تخـــطّ بـــه

فـــإن فَعَلْـــتَ فهـــاك الحِبْـــرَ بعـــضَ دمـــي»

يـــا صـــاحبيْ ســـفري، قـــد رابـــني بصـــري

فكيـــفَ يلحـــقُ ركـــبَ الـــراحلين عـــم؟

يـــا صـــاحبيَّ سَـــرَتْ لـــيلا خيولُكمـــا

فأصـــبحتْ عنـــدَ بَيْـــتِ الله والحَـــرَم

فكيــف تــدركُ خيلــي نَقْــعَ خيلكمــا؟

يــا صــاحبيّ وخيلــي دونمــا لُجُــم؟

تخــوضُ بحــرَ الهــوى مــن جهلــها سَــفَها

وتــدّعي حبَّهــا للمُفْــرد العَلَــم

مَــنْ ذا يبشّــرني؟ مَــنْ ذا يطهّرنــي؟

مَــنْ ذا يُحرّرنــي، والقيــدُ في قــدمي؟

وللــذُّنوبِ وإنْ سَــرّتْ مرارتُهــا

وبهجــةٌ تنتهــي للحُــزْنِ والألم

ولا خَــلاصَ سِــوى لُطْــف يجــُود بــه

ربُّ العبــادِ، فيُحْيــي دارسَ الــرّمم

مــولايَ جئتُــكَ محزونــاً وبــي خَجَــلٌ

ممــا جَنَيْــتُ، وثــوبُ العُمــرِ كــالحُلُمُ

أمّــارتي أَسْــرَفَتْ، هــل تَوْبَــةٌ لفتــى

مــا زالَ يَغْــرق في دوّامــة النّــدم؟

يــا صــاحبيّ، وكــم بــالروح مِــنْ عَطَــشٍ

بــه أنــوءُ، وَكَــمْ بالقَلْــبِ مِــنْ سَــقَم

هـــل مـــن ســـبيلٍ إلى كـــأسٍ فأشـــربَها؟
نوريّـــــةَ النّبْـــــع ربّانيـــــةَ النَّســــم؟
قــد كــاد يفتــك في الصــحراء بــي ظمئــي
وكـــاد يَفْلــق شـــوقي الصَّـــخْرَ مِـــنْ أَمَـــمِ
مـــولايَ جنتــك محمـــولا علـــى نَـــدَمي
فَهَـــلْ إلى توبـــة مِـــنْ حِمْلِـــيَ العَـــرِمِ؟
نـــادى منـــادٍ وقـــد ضَـــجّتْ حنـــاجرهمْ
يـــا مَـــنْ وَرَدْتَ بَلَغْـــتَ السّـــعدَ فـــالتزم
واذبــحْ هــوى الــنفس، وارجُــمْ شــهوةً عَرَضَــتْ
واخلــقْ وحَلّــقْ كمــا العقبــانُ في القمــم
واغســـــلْ فــــؤادك بـــــالقُرآن مشـــــتملاً
بالـــذكر والفِكْـــرِ واحـــذرْ زَلَّـــةَ القَـــدَم
وَصَــلّ مِــنْ أَجْــلِ مَــنْ بــاتوا علــى وَجَــلٍ
مـــن بَطْـــشِ طاغِيَـــةٍ وَلّاغَـــةٍ نَهِـــمِ
أَحَـــلَّ سَـــفْكَ دَمِ المستضـــعفين فمـــا
يخشـــى عواقِبَـــهُ في الأشـــهر الحُـــرم

يُـــذبَح الشـــعب والخرفـــان صـــامتةٌ

إلّا مـــن الآه لا تُنجـــي مِـــنَ الـــنقم

أحْرمْـــتَ عـــن قتـــل طـــير في ذرى الحَـــرَم

متـــى ســـتحرم عـــن صـــمتِ علـــى الظلَـــمِ؟

يـــا عابـــدَ الحـــرم انهـــضْ فـــالقلوبُ بَكَـــتْ

وابـــذلْ علـــى حبّـــه السّـــلوى لكـــلّ فـــم

كـــم آهـــةٍ قَطّعَـــتْ أحشـــاءَ أرملـــةٍ

كـــم زفـــرةٍ صَـــعّدتْ مـــن مَـــدْنَفٍ هَـــرِمِ

يـــا مـــن سَـــرَيْتَ إلى الـــرحمن مـــن شَـــرفٍ

ونِلْـــتَ مـــا لم يَنَلْـــهُ الخَلْـــقُ مِـــنْ كَـــرَمِ

حتّـــى اقتربْـــتَ وجبريـــلُ الأمـــين لـــه

حـــدٌّ، وقـــد أُبْـــتَ بالآيـــاتِ والحِكَـــم

لقـــد أصـــاب قلوبـــاً في جوانحنـــا

مِـــنْ داءِ مَـــنْ قَبلَنـــا مـــا حَـــزّ في الهمـــم

لســـنا نصـــدّ عـــدوّا عـــن مرابعنـــا

كأننـــا أمـــةٌ جَـــدْعاء في الأمـــم

ولا نَــــرُدّ ذِئابــــا قَـــدْ عَـــدَتْ سَــــحَراً

وكيــف يَـــدْفَعُ مـــن يرعـــى مـــع الغـــنم؟

رحمـــاك رَبّـــي، لقـــدْ شـــالتْ نعامتنـــا

وقـــد مَـــدَدْتَ إلينـــا خَيْـــرَ مُعْتَصَـــمِ

قلوبنـــا الغلـــفُ، مَـــنْ إلّاكَ يفتَحُهـــا؟

وَمَـــنْ ســـواك يُـــداوي آفـــة الصَّـــمم؟

الشارقة، الثلاثاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٣- ٢٠١٢/٢/٢١

من ماء زمزم

نبيلة الخطيب

.. ومـــا ارتحالــكَ فــرداً قاصــدَ الحــرمِ؟!
وصـــاحباكَ علـــى شـــوق كمـــا الضّـــرَم

أَمـــا تواعَـــدَتْ الأرواحُ ذاتَ ضـــحىً؟!
علـــى الطّـــوافِ بعهـــدٍ غـــيرِ منفَصِـــم

عهـــدٌ زرعنـــاه فاخضـــرَّتْ جوانحنـــا
قـــد خُـــطّ بالـــدّمع لا بـــالحِبر والقلـــمِ

أمـــا وَعَـــدْتَ بِلُقْيـــا الصـــاحبين غـــداً
هـــل أخطـــأ العـــدَّ قلـــبي أم تـــراه عَمـــي؟!

تقـــولُ بعـــدَ غـــدٍ؟! مَـــن ذا يُـــؤمِّلني؟!
والعمـــرُ يَضْـــبَحُ بـــين السُـــقم والهَـــرَمِ

يَسّـــاقطُ العمـــرُ والأيـــامُ في سَـــبَقٍ
تمضـــي تحـــثُّ الخُطـــى للأشـــهر الحُـــرُمِ

وَيْـــحَ المقـــيمِ بـــأدنى الأرضِ مَحبَسُـــهُ
والـــروحُ تصـــبو حناياهـــا إلى الأكَـــمِ

نبيـــتُ نَـــرْزَحُ في أصـــفاد وَحْشـــتنا

(والنـــاسُ مـــن كـــل فـــجٍ في ذرى الحـــرمِ)!

والنـــاسُ تُـــروَى وتَـــروي بالـــدموع مِنـــىً

ومـــثلتي ألهبـــتْ خَـــدَّيَّ بالسّـــجَم

تصـــحّرَتْ مُهْجـــتي والعـــينُ طائفـــةٌ

تجـــوبُ أجواءهـــا بحثـــاً عـــن الـــدِّيَمِ

تَمـــدّدَتْ فيَّ صـــحرائي فتُهـــتُ بهـــا

يـــا غربـــةً جـــرَّعتني حســـرةَ اليُـــتُمِ

فمـــا اغتباقـــكَ والأضـــلاعُ ذاتُ صـــدىً؟!

في كـــلّ صـــدرٍ فـــؤادٌ للـــزلال ظمـــي

أقبـــلْ تضـــرَّعْ تضـــلَّعْ عـــلَّ يَشْـــمَلُنا

منـــك الـــدعاءُ بصـــبحٍ عـــاطر النّسَـــمِ

لكعبـــة النّـــور هـــالاتٌ تُكلِّلُهـــا

يـــا حُســـنَ طلعتهـــا موفـــورةَ العِصَـــمِ

ســـودٌ غـــدائرُها مـــن مِسْـــك كِسْـــوَتِها

قـــد رُصِّـــعَتْ بفُصـــوص التّـــبر والتّـــوَمِ

لّمَّا تعلّقَ بالأسْتار وُفَّدُها
بَدَتْ لناظرها مبيَضّة اللّمَمِ
عيني تراها يقيناً قابَ دَمْعَتها
يا قوتةَ الأرض فلتُقبلْ وتستلمِ
إن حالَ بينكما جَمْعٌ أشِرْ بيدي
وإنْ دنَوْتَ فقبِّلْ طهْرَها بفمي
إنَّ الحبيب الذي روحي تتوق له
لم تثنني عنه بَيْدائي ولا لُجُمي
لو كان للقلبِ خِلٌ غيرُه لقضى
بقية العمر بين البان والعَلَمِ
لكنّما القاعُ بين الصخرتين سعى
به فؤادي وإنْ كفَّ النوى قدمي
والروحُ ترمُلُ بين الأخْضَرَيْن عسى
يوماً تُطهِّرُني الأنوارُ مِنْ ظُلمي
كُلِّي ألبّي وإنْ أحصِرْتُ عن أملي
روحي ونفْسي وأنفاسي ونبضُ دمي

يـا ثالـث[1] اثـنين[2] هـل للـبين مِـن سِـنَةٍ

نفـــــرُّ فيهـــــا إلى شَـــــمْلٍ ومُلتَـــــأِمِ؟!

إن كـــــان ذاك ابـــــتلاءَ الله أدركَنـــــا

فلسْـــتَ عنـــدي علـــى البلـــوى بمـــتّهَم

لكـــــنّ قلـــــبي لحـــــوحٌ في تَعَشُّـــــقِهِ

يذيبُـــه الشـــوقُ بـــين الصّـــمتِ والكَلِـــمِ

قلـــبي رويـــدكَ قـــد نـــاداهُ فـــيضُ ســـنىً

ألا يُلبّـــي؟! فـــلا تَعْتِـــبْ ولا تَلُـــمِ

مـــاذا عليـــه وقـــد أبـــراهُ بارئـــهُ

وبـــتَّ أنـــتَ شـــجيَّ النَّـــبْضِ ذو كَلِـــمِ؟!

فـــلا جُنـــاحَ علـــى السّـــاعي بمفـــرده

فلـــيس يُفْضـــي ارتيـــادُ النـــوم للنّـــدم

يـــا طيـــبَ طيبـــةَ والمحبـــوبُ ســـاكنها

عـــالي المقـــام رفيـــعَ الشـــأن والشـــيَمِ

---

(١) د. عودة أبو عودة.

(٢) د. حسن الأمراني. والشاعرة.

تُــرى مَشَــيْتَ علــى ذاك الثــرى خَبَبــاً؟

وكنــتَ في كــلِّ خَطــوٍ مُغــدِقَ السَّــلم؟

وهــل تلــوتَ (أَلَــمْ نَشْــرَحْ) بروضــته؟

أعلــى لــه الــذكرَ ربُّ العــرش في الأمــم

قــد كنــت أقرأتُــهُ عــني الجــوى فبكــتْ

حمــائمُ الــدّوح لّمــا اســتقرأتْ ألمــي[1]

هــل ســاءلَتْكَ إذنْ عــني أم أنَّ[2] جَفــىً

قــد مَــدَّهُ النَــأيُ حتــى بِــتُّ كالعــدَمِ؟!

رســولَ شــوقي إليهــا هــل بثثــتَ لهــا

أنّــي رهينــةُ لَيْــلِ الشّــوقِ والألم؟

قـــد ردّدَ الشـــعرُ آهـــاتي مُرفَّلـــهُ

فـــدقَّقَ الوجْـــدُ تحنـــاني إلى نغمـــي

وبِـــتُّ بـــين رجـــائي واحتـــدام دمـــي

كَمَـــنْ تـــردَّدَ بـــين البُـــرءِ والسَّـــقم

(١) إشارة إلى قصيدة أقرئه عني الجوى، في الثلاثية الأولى.

(٢) تلفظ همزة (أن) موصولة مخطوفة لاستقامة الوزن.

صـــــوتٌ يؤمِّـــــلُ في روحــــي مباهجَهـــا

يقـــول يـــا قلـــبُ لا تَغْفَـــلْ ولا تـــنَمِ

يـــا قلـــبُ ردِّدْ بمـــلْ الـــروح تلبيـــة

فقـــد دعـــوتَ مجيبـــاً بـــالغَ الكـــرَمِ

ملتقى الأديبات المسلمات

تحية استقبال

عودة أبو عودة

جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة

أقيم في عمان، في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن ملتقى للأديبات المسلمات، وهو مؤتمر يعقد بصورة دورية، في واحد من مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية المنتشرة في أنحاء العالميْن العربي والإسلامي. وقد حظي مكتب الأردن باستضافة هذا الملتقى في يومي ٦-٧ آذار من عام ٢٠١٣م، وقد تفضلت جامعة العلوم الإسلامية العالمية في الأردن، بمبادرة من رئيسها الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل؛ باستضافة حفل الافتتاح وجلسات الملتقى في يومه الأول في رحابها، وفي جلسة الافتتاح هذه ألقى الدكتور عودة أبو عودة، أستاذ الدراسات اللغوية في الجامعة، وعضو الرابطة، هذه القصيدة ترحيباً بالمشاركين والمشاركات في الملتقى.

لقـــــاءَ الأديبـــــات أهـــــلاً بِكُـــــنّ

وفي العـــــين والقلـــــب تقـــــديركنّ

ويــــــا ملتقـــــــى الأدب المُســـــتَنيرِ

ســـــلوكاً وفكـــــراً وعلمـــــاً وفنّـــــا

وَدِدْتُ لَــــوَ أنــــي[1] أجيـــدُ القصـــيدَ
أُبــيّنُ كَـــمْ نحــنُ نزهـــو بِكُـــنَّ

ويــــا مرحبـــاً بِكُـــمُ في الــــبلاد
مضـــاربَ عِـــزٍّ وفَخْـــرٍ ومغنـــى

هنــــا الأردنُ المجـــدُ أرضُ الربــــاط
تبـــــاهى بمقْـــــدَمِكُمْ وارفَــــأنَّ

وتــــروي الأحاديـــث ذكـــرَ الجِنــــان
بأُردننـــــا نَــصّ مَبْنـــى ومعنـــى

وعَمّـــــانُ زهـــــرةُ كُـــلّ المـــدائن
ظِــــلاً ظلـــيلاً وأمْنـــاً وجَنّـــة

وجامعـــــــةٌ ترتقـــــي بـــــالعلوم
علـــى أُسُـــسٍ مِـــنَ كِتــابٍ وَسُـــنّة

ومكتبُنــــــا يحتفــــي بـــــالوفودِ
تغنّـــــى بمقـــــدَمهم واطمأنّــــــا

---

(١) تنطق همزة (أني) همزة وصل لضرورة الوزن.

نبيلـــــــةُ[1] تَـــــــنْظِمُ طاقـــــاتِ وَرْدٍ

وأبيـــــــاتَ شِـــــــعْرٍ لتكـــــــريمكنّ

وتنثـــــــر في دَرْبـــــــِكُنّ الزهـــــورَ

وتَبْـــــذُلُ في الـــــوّدّ قلبـــــاً مُعَنّـــــى

بـــــِحُبّ الشـــــقيقات مـــــن كـــــل قُطْـــــرٍ

وحُـــــبّ الأديبـــــات مـــــنْ حَيْـــــثُ هُـــــنّ

تتيـــــهُ بِكُـــــنَّ علـــــى كُـــــلّ حَفْـــــلٍ

وترفـــــــعُ بـــــــالفَخْر رايـــــــاتِكُنّ

أديباتِنـــــــا مَرْحبـــــــاً بالبيـــــــان

وبـــــــالفكر والفـــــــنّ في قَـــــــوْلِكُنّ

أَتَيْـــــتُنّ مِـــــنْ كـــــل قُطْـــــرٍ عزيـــــزٍ

مَحَبَّتُـــــه عنـــــدنا حيـــــثُ كُنّـــــا

نـــــرى بيننـــــا الخَفِـــــراتِ الحســـــانَ

يقلّـــــن وينْشـــــدْنَ شِـــــعراً مُغنّـــــى

---

(١) السيدة نبيلة الخطيب، كانت رئيسة مكتب الرابطة في الأردن في هذه المدة.

ونَسْـــــمَعُ مِــــنْهُنَّ ســـــحَر البيـــــان

فَحُــــــقَّ لأردننـــــــا أن يُهنـــــــا

وحُــــــــقّ لمكتبنـــــا أن يبــــــاهي

فكـــل الـــذي قـــد تمنّـــى تَسَـــنّى

ســـــلام علــــيكم وأهـــــلاً بكـــم

وجَمْــــــعُ الرجـــــال يحيّـــــونكن

أُخـــــاطبكُنَّ خطـــــابَ العُمـــــوم

بَيـــــانٌ ســـــواءٌ فـــــلا تَعْجَـــــبُنّ

فأصْــــلُ الخِطـــابِ بجمـــع الرجـــال

وفي كـــل شَـــأنٍ لنـــا أو لكـــنّ

فـــــنحنُ جميعــــاً نقـــول ونســـعى

ونرضـــى ونـــدعو وكنـــتم وكنـــا

خطـــــابٌ جميـــــعٌ لقـــــومٍ جميـــعٍ

رجــــالاً نســـــاءً بــــلا أيِّ مِنّــــة

ولكــــنْ إذا كـــان شـــأنٌ خصـــيصٌ

يكُـــنّ فـــلا بُـــدّ مـــن نـــونكن

فكالوالـــــداتِ يرضّـــــعنَ أولادَهُـــــنَ

بيانـــــا ورُحْمـــــا وحِنـــــة

وكُـــــنّ حَمَلْـــــنَهمُ أشـــــهراً

وراعَيْـــــنَهمْ منـــــذ كـــــانوا أجِنَّـــــة

وهُـــــن اللـــــواتي يَصُـــــغن الحيـــــاة

فكيـــــف إذا غـــــبن عنـــــا وأنّـــــى؟!

فهُـــــن شـــــقائقُ هـــــذي الرجـــــالِ

وهـــــن الســـــكينة قلبـــــاً وحصـــــنا

وأخشـــــى إذا سِـــــرْتُ في فَضْـــــلِهِنَّ

يقـــــولُ كـــــثيرٌ مـــــنَ النّـــــاس إنّ

وهـــــذا الخطـــــاب بنـــــونُ النســـــاء

تعـــــيّن في شـــــرحِ أحـــــوالهن

ويعْسُـــــر في الحلـــــق نطـــــق الكـــــلام

إذا تَلَبَّسَـــــتْ النّـــــونُ أخبـــــارَكُنّ

خفيـــــفٌ علـــــى المَـــــرْء مـــــيمُ الرّجـــــال

ثقيـــــلٌ علـــــى سَـــــمْعِهِ نـــــونُكنّ

بهـــــذا البيــــان الفصـــــيح الكـــــريم

تنزّلـــــــــــت الآي في شـــــــــــأنِكنّ

فـــــأهلاً بـــــِكُمْ في حنايـــــا القلـــــوب

فمِـــــــنْكُنّ نحْـــــــنُ وأَنْـــــتُنَّ مِنّـــــــا

الفِتْيَةُ الأَصْحابُ

كلُّهُــــــمْ فِتْيَـــــةٌ كِــــــرامٌ مِـــــلاحُ

حُسْــــنُهمْ زانَـــــهُ الهــــدى والسَّـــــماحُ

مَنْطِـــــقٌ صــــائِبٌ وَسَــــمْتُ جَميــــل

وَصَـــــفاءٌ مَـــــا بَيْـــــنَهمْ وَمِـــــراحُ

إنْ تَـــــزُرْهُمْ فأَنْـــــتَ في بيـــــتِ إخْـــــوا

نِـــــكَ حُـــــبٌّ وَبَهْجَـــــةٌ وانْشِـــــراحُ

بَعْضُـــــهُمْ في النّـــــدى يُسَابـــــِقُ بَعْضـــــاً

وَهْـــــوَ في ديـــــنِهِمْ هُـــــدىً وَفَـــــلاحُ

فَوليـــــدٌ نِعْـــــم المــــديرُ، كَـــــريمٌ

فَنَـــــداهُ يُغْـــــدَى لَـــــهُ وَيُـــــراحُ

حَوْلَـــــه صُـــــحْبَةٌ يَطيـــــبُ لِقـــــاهُمْ

يُوسُـــــفُ الجَبْـــــرُ مِـــــنْهمُ وكِفـــــاحُ

وأبـــــو حـــــاتمٍ فَتـــــىً أَلْمعِـــــيٌّ

يَخْـــــدِمُ القَـــــوْمَ حيـــــثُ جـــــاءوا وراحـــــوا

فـــإذا احْتَجْــــتَ في شُــــؤونكَ أَمــــراً

مُشْـــكِلاً؛ نـــادِ، يـــا مُحَمَّـــدْ رَبـــاحُ

وإذا نازَعَتْــــــكَ نَفْسُـــــكَ للتَّــــــرْ

تيـــــلِ تَســـــمو بـــــــفَيْضِهِ الأَرواحُ

فاســـــتمعْ خَاشِـــعاً لِيوسُــــفَ يَتْلـــو

فَهْــــوَ لِـــــلآي عاشِـــــقٌ سَــــوّاحُ

وإذا آلَمَتْــــــكَ يومــــــاً شَـــــكاةٌ

فَكِفــــــاحٌ بِطِبِّــــــهِ تَرْتـــــاحُ

وأَبـــــو العـــــزِّ مَلْجـــــأٌ وَمـــــلاذٌ

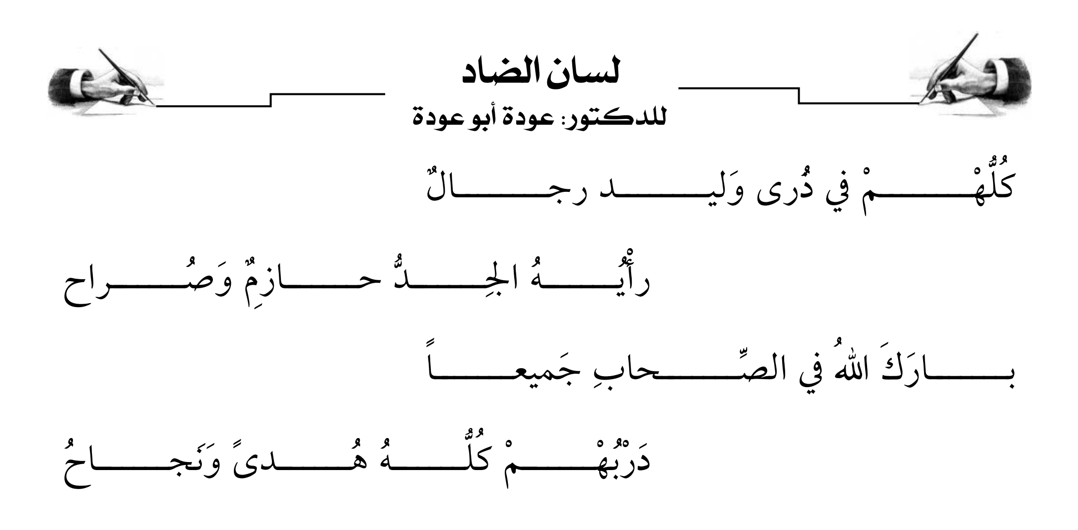
جُهْـــــدُهُ للأَصْـــــدِقاءِ مُتـــــاحُ

وَلَعَلّـــــي أقـــــولُ قَوْلَـــــةَ حَـــــقٍّ

إنْ توالَـــــتْ في وَصْـــــفِه الأَمْـــــداحُ

وَبِقَلْبـــــي لطـــــارِقٍ كُـــــلُّ وُدٍّ

فَهْـــوَ كَالْمِسْـــكِ خَتْمُـــهُ فَـــوّاحُ



كُلُّهُـــــــمْ في ذُرى وَليــــــد رجـــــالٌ   رأْيُـــــهُ الجِــــدُّ حـــــازِمٌ وَصُـــــراح

بـــــــارَكَ اللهُ في الصِّــــحابِ جَميعــــــاً   دَرْبُهُـــــمْ كُلُّـــــهُ هُــــدىً وَنَجـــــاحُ

٢٠١٤/٣/٢٣

في رثاء الأستاذ الدكتور

ناصر الدين الأسد

أبو البشر

واليوم، وقد رحل أستاذنا الكبير أبو البشر، الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد عن هذه الحياة الدنيا، وانتقل إلى جوار ربه يوم الخميس الموافق ٢١/ ٥/ ٢٠١٥م، جئت أقول هذه القصيدة، أحييه بها، وأترحّم عليه، وأرجو الله عز وجل أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته.

أبا البِشْر

أتجـــــزع للمـــــوت أم تَصْـــــطَبِر

ومـــــاذا عليـــــك بـــــأنْ تعتـــــبر

ومـــــاذا عليـــــك بـــــأن تـــــنحني

لحكـــــم القضـــــاء إذا مـــــا قُـــــدِر

لقـــد حَـــقّ قـــولٌ علـــى كـــل نَفْـــسِ

وفي كـــــل أمـــــر كتـــــابٌ سُـــــطِر

يعـــــيش ويحيـــــا امـــــرُؤٌ عُمـــــرَه

ويدركُـــــه الموعـــــد المنتظـــــر

يقولـــون عـــاش، يقولـــون مـــات

فكيـــف يمـــوت ويحيـــا البشـــر

فهـــا نحـــنُ نحيـــا ونـــذكر مـــن راح

ذكـــراً جمـــيلاً طَـــوال العُمُـــر

ومِـــنْ حولنـــا النـــاس كالـــذّرِّ هـــل غـــاب

واحِـــدُهُمْ يـــا تُـــرى أم حَضَـــر

هـــل المـــوتُ حقّـــا رحيـــلُ النفـــوس

فلـــيس لهـــا بَعْـــدَه مـــن أثـــر

أم المـــوتُ عيشُـــك هـــذي الحيـــاة

بـــلا أثـــرٍ خالـــدٍ أو خَبَـــرْ

فكـــم ميّـــتٍ وهـــو مـــا بيننـــا

يحـــدثنا بالمعـــاني الغُـــرَر

وكـــم شـــاخصٍ بيننـــا رسْـــمُهُ

ومـــا هـــو في عيننـــا معتـــبر

أبـــا البشـــر مـــا زلـــت فينـــا كـــبيراً

تُعلمنـــا سِـــرَّ هـــذا الكِبَـــر

أبـــا البشـــر مـــا كنـــتَ إلّا كـــبيراً

بمنطِقِـــكَ العَـــذْبِ في كـــلّ أَمْـــر

تســـامى لَـــدَيكَ اللســـانُ الفصـــيحُ

وعـــاد إليـــه الشّـــبابُ النّضِـــر

سَـــعِدْنا وَعِشْـــنا بِسِـــحْر الحـــديث

كـــأنّ كلامَـــك طَـــوْقُ الزَّهَـــرْ

فـــإن قلْـــتَ شـــعراً فَسِـــحْرُ البيـــان

وإن قُلـــتَ نَثْـــراً فَـــنَظْمُ الـــدُّرر

وكـــان يَسُـــرُّك أن نرتقـــي

بِقَـــوْلٍ دقيـــقٍ عظـــيم الأثـــر

وكنّـــا نُطـــاوِلُ أقرانَنـــا

بمـــا قَـــدْ شـــهِدتَ لنـــا نفتخِـــرْ

وكنـــا نحـــاذر مِـــنْ خَطْـــأَةٍ

تضِـــلّ بنـــا في مهـــاوي الخَطَـــر

تعـــوّدَ واحِـــدُنا أن يحـــاذرَ

عنـــدك يلـــزمُ ذاك الحَـــذَر

فـــــإن خانَــــــهُ قولُـــــــهُ مـــــرّةً

أمامـــــك كانــــت كإحـــــدى الكُبَـــــر

ســـنحفظ يـــا ســـيدى مـــا تَرَكْـــتَ

وراءَك مِـــــنْ بيّنــــــات الفِكَـــــــرْ

وقفـــــتَ تـــــدافع عـــــن أمـــــة

وتَـــــدْرأُ عنهـــــا كُيـــــودَ الخطـــــر

وترفـــــع مِـــــنْ شـــــأنِ بُنْيانهـــــا

ومِـــــنْ أجـــــل عزِّتهـــــا تنتصـــــر

وترفَـــــعُ للضّـــــادِ ذِكْـــــراً جمـــــيلاً

تقـــــدّمُ للنّـــــاس أسمـــــى العِبَـــــر

أبـــا البِشْـــرِ يـــا أَجْمَـــلَ النـــاطقين

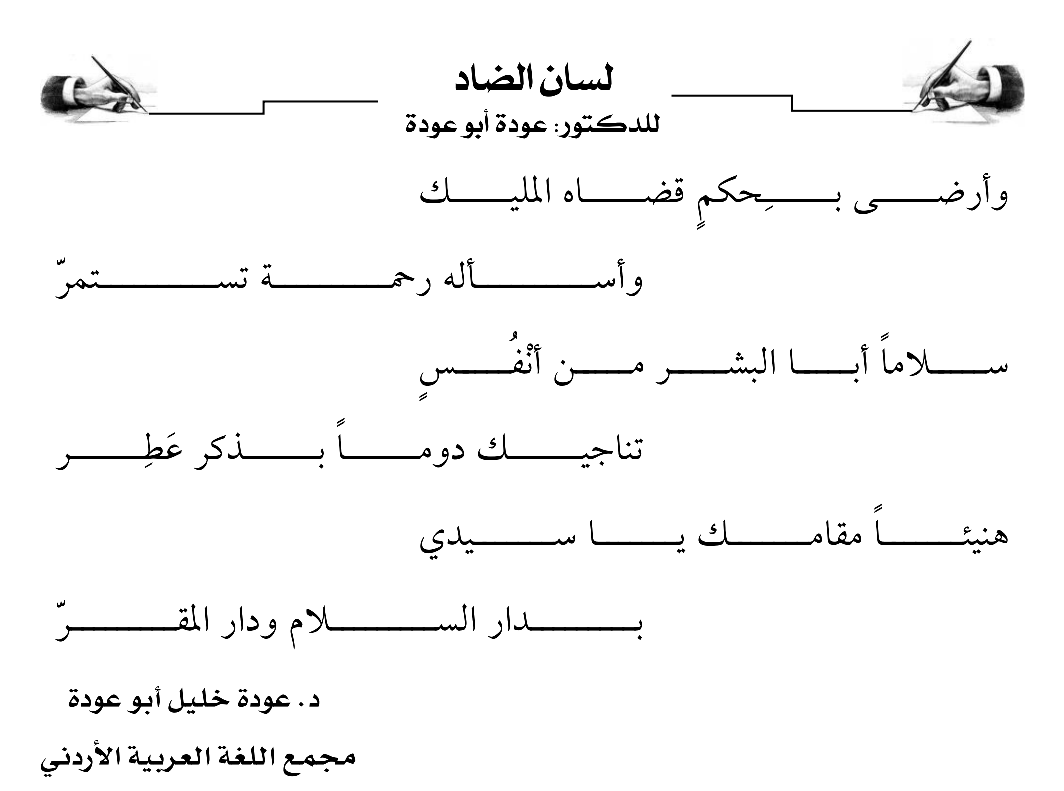
بِسِـــحْرِ البيـــانِ وســـحر السُّـــور

عزائـــــيَ أنـــــي تعلّمـــــت منـــــك

جميـــــل العَـــــزاء وحُسْـــــنَ العِبَـــــرْ

أكفكـــــفُ دمعـــــي وأصْـــــبِرُ نفســـــي

وأُمســـــك قلـــــبيَ لا ينفطِـــــر



وأرضـــى بــــِحكمٍ قضـــاه المليـــك

وأســـــأله رحمـــــة تســـــتمرّ

ســـلاماً أبـــا البشـــر مـــن أنْفُـــسٍ

تناجيـــك دومـــاً بــــذكر عَطِـــر

هنيئـــاً مقامـــك يـــا ســـيدي

بـــدار الســـلام ودار المقـــرّ

د. عودة خليل أبو عودة

مجمع اللغة العربية الأردني

من محاولات الصبا الباكر...

في يوم من أيام الربيع المشرقة من عام ١٩٦٥، دخل الأستاذ الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية دار العلوم إلى المحاضرة، وكتب على السَّبّورة بيت الشعر التالي.

متــــــــــى يجـــــــــيء ربيـــــــــعٌ

ولـــــــــيس فيـــــــــه امتحـــــــــان

وقال إن أستاذه عندما كان طالباً، فَعَل ذلك، وسأَلَ طلابه أن يضيفوا إلى البيت ما يريدون على وزنه وقافيته ومضمونه. فألّفَ طلاب الكلية عامئذٍ قصيدة جميلة، ولكن أستاذنا لم يذكر لنا تلك القصيدة. وقد أخذتُ هذا البيت، وألّفت عليه القصيدة التالية، وأعطيتها في المحاضرة التالية لأستاذي الذي سُرّ بها كثيراً. فأرجو أن يُسرّ بها طلابي وأصدقائي هنا في هذه الجامعة.

الربيع والامتحان

متـــى يجـــيء ربيـــعٌ

ولـــيس فيـــه امتحـــانُ

ولـــــيس فيـــــه دروسٌ

بلاغـــــــةٌ أوْ بيـــــــانُ

إنَّ الزمـــــــانَ ربيـــــعٌ

وإِســـــمُ إنّ الزمـــــانُ

هـــذا الـــذي نحـــن فيـــه

نشـــــقى بـــــه ونُهـــــان

وقـــــد أهـــــلّ ربيـــــعٌ

لكـــــــــــــل آنٍ أَوان

فـــالوردُ مـــلءُ الروابـــي

والزّهْـــــرُ والرَّيحْـــــانُ

والطّـــيرُ شـــادٍ يغنّـــي

فَتَصْـــــدَحَ الألحـــــان

والأهــلُ جــاءوا جميعــاً

الأمّ والولـــــــــدان

وكلّهـــــمْ في سُـــرورٍ

شـــادٍ بـــه نَشْـــوانُ

ونحــن في الــدرس أسـرى

إعــرابِ كــان وكــانوا

أبـــو حنيفـــةَ أفتـــى

بمـــا أتـــى القـــرآن

ســقراطُ قــال وأوفــى

فتاهـــت الأذهـــان

لا تحســبوا مــن كلامــي

أنــي كســولٌ جبــان

فــالعلم حــقٌّ ونــورٌ

وعــــزّةٌ وكيــــان

مــن تــابعوه اســتفادوا

ومــن نسَــوْه اســتكانوا

فجاهــــدوا بحمـــاس

فلـــيس للجهـــل شـــان

حَتّـــى نَفـــوزَ ونحيـــا

في أرضـــــنا أعيـــــان

ويضـــربُ القـــول فينـــا

وينشـــــر الإعــــلان

لقــــد أهــــلّ ربيــــع

ولـــيس فيـــه امتحـــان

عودة أبو عودة

١٩٦٥

الفهرس

المقدمة ٥

لسان الضاد ٣٦

سر المحبة.. ٤٢

تحية اللقاء ٤٦

بركان ٤٩

الثلاثية الأولى ٥٣

❋ أقرئه على الجوى... نبيلة الخطيب ٥٥

❋ أقرئه على الجوى... د. عودة أبو عودة.. ٥٩

❋ أقرئه على الجوى... حسن الأمراني.. ٦٣

البيان العالي ٦٩

الثلاثية الثانية.. ٧٥

❋ في البيت العتيق... حسن الأمراني.. ٧٩

❋ في البيت العتيق...د. عودة أبو عودة.. ٨٣

❋ في البيت العتيق... نبيلة الخطيب ٩١

أنت الآن في الكرك ١٠٠

الثلاثية الثالثة.. ١٠٣

* من ماء زمزم...د. عودة أبو عودة ١٠٧

* قلوصك الدمع... د. حسن الأمراني ١١٨

* من ماء زمزم... نبيلة الخطيب........................ ١٢٣

ملتقى الأدبيات المسلمات تحية استقبال ١٢٩

الفتية الأصحاب ١٣٥

أبا البشر........................ ١٣٩

من محاولات الصبا الباكر.. «الربيع والأمتحان» ١٤٨